رسائل القديس أنطونيوس

(نقلاً عن المخطوطة م ٢٣ بمكتبة الدير)

المحتويات

الرسالة الأولى..... ٥

الرسالة الثانية..... ١٢

الرسالة الثالثة..... ١٦

الرسالة الرابعة ٢١

الرسالة الخامسة..... ٢٤

الرسالة السادسة..... ٢٨

الرسالة السابعة ٣٧

الرسالة الثامنة ٤٤

الرسالة التاسعة ٤٩

الرسالة العاشرة ٥٢

الرسالة الحادية عشرة..... ٥٦

الرسالة الثانية عشرة..... ٦٠

الرسالة الثالثة عشرة..... ٦٣

الرسالة الرابعة عشرة..... ٦٦

الرسالة الخامسة عشرة ٧٠

الرسالة السادسة عشرة..... ٧٣

الرسالة السابعة عشرة..... ٨٦
الرسالة الثامنة عشرة.....١٠١
الرسالة التاسعة عشرة.....١٠٩
الرسالة العشرون.....١١٧
تعاليم روحانية ووصايا مقدسة.....١٣٥
قول للقديس أنطونيوس عن رهبنة الشركة.....١٤٥
خاتمة.....١٥١

الرسالة الأولى

في الخروج من العالم إلى الرهبنة

١ – قبل كل شيء، أنا أطلب خلاصكم بالرب. وأقول إن الأرواح التي بُلِّغت إليها بشارة روح الله، من رجال ونساء ، ثلاث رتب: الأولى هي رتبة الذين قبلوا – وِفقاً لناموس الطبيعة والحرية الموضوعة فيهم أولاً – ما بُلِّغ إليهم من البشارة بواسطة القول، ولم يتوانوا بل أسرعوا وهم مستعدون تماماً كما كان أبونا إبراهيم مستعداً بناموس الطبيعة، ولهذا كلَّمه الله قائلا: " اخرج من أرضك ومن بني جنسك وادخل إلى الأرض التي أريك إياها " (تك١٢:١)، ولا تكن ذا قلبين . فاستعدَّ إبراهيم لهذه الدعوة وصار مثالاً للذين يبتدئون. وإلى الآن (ما زالت) هذه الدعوة ثابتة للذين يريدون الدخول في هذا الشكل[١]، إذا هم صنعوا هكذا حتى يكون قلبهم مستعداً أن يتبع روح الله، فهم ينالون المواعيد براحة (عب١١:٣٣)، وهذه هي صفة هؤلاء .

والرتبة الثانية، هم الذين يسمعون المكتوب، وهو يشهد لهم بالدينونة التي تكون للخطاة والمواعيد الصالحة التي لمن يبتغي الصلاح، ومن أجل هذه

---

(١) يقصد إسكيم الرهبنة ، أي السيرة الرهبانية

الشهادات المكتوبة في الناموس تيقظت نياتهم وطلبوا الدخول في هذه الدعوة، كما قال داود النبي إن "ناموس الرب يحيي النفوس" (مز ١٨: ٧)، وقال أيضا: "كلامك يضيء لي ، وناموسك يعلِّم الأطفال" (مز١٣٠:١١٨). والمكتوب مثل هذا كثير .

والرتبة الثالثة – وهم الذين قلوبهم قاسية ومدمنون على فعل الخطايا – فيجلب عليهم الله الرحوم مصاعب وشدائد حتى تتنبَّه سرائرهم ونيَّاتهم لكثرة ما يأتي عليهم، فيندمون ويرجعون ويستعدون ويدخلون إلى هذه الدعوة ويتوبون من كل القلب، وينالون المواعيد كالرتبتين الأولى والثانية .

فهذه هي الرتب الثلاث التي تُدعَى بها النفوس الراجعة للرب حتى تنال نعمة الإله ابن الله .

٢ – وأنا أقول إن كل الذين دخلوا بكل قلوبهم يتعلمون الصبر إلى أن يقدروا على مقاومة العدو. هؤلاء قبل كل شيء يدعوهم الروح القدس ويسهل عليهم كل الأمور حتى يُجَلِّى لهم الدخول في التوبة، ويُظهِر لهم طرقها الحقيقية لكى يتوبوا بأرواحهم وأجسادهم، ويرجعوا إلى الله الخالق فيعضدهم بالقوة حتى يُقمِعوا الجسد والروح لكى يطهرا كلاهما ويصيرا وارثين الحياة الأبدية .

أما الجسد فنتعبه بالصوم الكثير والسهر والجهاد وبقية الخدم التي هي الأثمار الجسدانية. ولهذا (تؤازر) روح التوبة ذلك الإنسان وتعزيه وتعرفه أن لا يرجع إلى ورائه ولا يتعلق بشيء من أمور العالم. كما وتفتح عيني النفس أيضا

(لمعرفة) التوبة الحقيقية لكي تتطهر مع الجسد، ويكون كلاهما واحداً في الطهارة، لأن هذا هو تعليم الروح القدس. لأنه يقودهما ويطهرهما ويمحو منهما الطبائع (الغريبة) الممتزجة بالجسد، وينقلهما كليهما إلى الخلقة (أي الحالة) الأولى التي كانت لهما قبل المخالفة. ولا يبقى في الإنسان شيء من أمور العدو. وعند ذلك يصير الجسد تابعاً لإرادة العقل الذي يطهره في أكله وشربه ورقاده وسائر تصرفاته، ويتعلم دائماً من الروح القدس، كما يقول الرسول: " إني أُقمِع جسدي وأستعبده"(١كو٩:٢٧) .

٣ – وأنا أعلم أن في الجسد ثلاث حركات: الأولى دائمة فيه وليس لها أن تفعل شيئاً بغير إرادة النفس. والحركة الثانية تدفع الجسد إلى المآكل والمشارب الشهية؛ وحرارة الدم المتولدة من كثرة الأغذية تثير الحرب في الجسد وتستميله إلى الشهوات الرديئة. ولذلك قد حذر سيدنا المسيح له المجد تلاميذه بقوله: " لا تثقل قلوبكم بالشبع والسكر " (لو٢١:٣٤). وبولس الرسول يقول: "لا تسكروا بالخمر الذي يكون منه المجون" (أف٥:٨). فيجب إذن على كل من لبسوا زي الرهبنة أن يقولوا مع بولس الرسول: " إنني أُخضع جسدي وأستعبده" (١كو٩:٢٧). والحركة الثالثة هي من الأرواح الشريرة لكى تردَّ الذين يريدون الدخول في باب الطهارة.

ولكن النفس إذا تسلحت بالصبر الدائم وبالشهادات التي من نَفَس (روح) الله ، فالروح القدس يرشد العقل إلى تطهير النفس والجسد كليهما من

هذه الثلاث حركات.

فإن غفل الإنسان عن هذه الشهادات والتعاليم التي قد سمعها، فحينئذ تقوى عليه الأرواح الرديئة وتُنجِّس جسده. إذ ذاك تفكر نفسه كيف تأتيها المعونة. فإن رجِعتْ والتصقتْ بروح الخلاص فهي عند ذلك تَعلَم أن الصبر من أجل الله هو راحتها وسلامها .

٤ – وهذه الأقوال التي قلتها لكم هي من أجل اتفاق الجسد والنفس في التوبة. فإذا نال العقل هذه النعمة، عند ذلك يطلب (يصلى) بالروح القدس ويبتدئ أن يطرد عن النفس كل المصاعب التي تأتي عليها من شهوات القلب .

وهذا الروح (القدس) إن كان له شركة مع العقل ليساعده على حفظ الوصايا التي تعلَّمها، فإنه يرشده لينزع عن النفس تلك الأوجاع التي امتزجت بالجسد، واحدة بعد أخرى؛ وأيضا الأوجاع التي لها (أي للنفس) خاصة وكائنة فيها. فالروح ينزعها تماماً من قمة الرأس إلى أسفل القدمين: فالعينان لتضيئا باستقامة وتنظرا بطهارة، ولا يبقى فيهما شيء غريب (دنس). والأذنان ليسمعا بسلام لا بنميمة ولا بتعيير البتة، بل باستقامة وتراؤُف على جميع الخليقة. وأيضاً اللسان يتكلم بالطهارة، والنفس تعلِّم اللسان أن ينطق دائما بالخير؛ لأن هذه الأوجاع كلها كانت قد تسلطت عليها من اللسان، كما قال يعقوب الرسول: " إن من يقول إنني أخدم

الله وهو لا يلجِّم لسانه، فهو يُضلُّ قلبه وتكون خدمته باطلة" (يع ١:٢٦). وهو يقول في موضع آخر: "اللسان عضو صغير، لكنه ينطق بالعظائم وينجس الجسد" (يع٣،٦:٥). ومثل هذا كثير في الكتب المقدسة. فإذا تقوَّى العقل وأخذ من الروح فإنه يتطهر، وعند ذلك يفحص عن كل كلام ينطق به اللسان حتى لا تكون فيه إرادة جسدية، وبهذا يكمل عليه قول سليمان (الحكيم): "الكلمات التي أُعطيتها من الله ليس فيها ميل ولا اعوجاج" (أم٨:٨). ويقول أيضا: " لسان البار يشفي الأمراض" (أم ١٢:١٨).

وأيضاً للأيدي حركات أخري تعمل في بعض الأوقات بهوى النفس، وهذا ليس من الواجب؛ لأن الروح أعدَّها للطهارة ولرفعها للصلاة وفعل الرحمة والعطاء، فيكمل عليها القول المكتوب من أجل هذه الصلوات الطاهرة: "رَفْع يدي كقربان المساء" (مز ١٤٠:٢). ويقول من أجل الرحمة والعطاء: " يد الأقوياء تعطي بسعة " (أم١٠:٤).

والبطن أيضاً يتحرَّز من المآكل والمشارب كما يقول الروح على لسان داود النبي: " إني لم أُؤاكل الرغيب العين والشره القلب" (مز ١٠٠:٥). فإن تسلَّطتْ عليها (أي على البطن) كثرة المآكل والمشارب وعدم الشبع، واجتذبتها النفس الشهوانية إلى ذلك فإن قوة العدو تختلط معها.

فالذين يطلبون هذه الدرجة العالية من الطهارة، روح الله يهديهم إلى

طرقه المستقيمة، ويثبتهم في الطهارة واستقامة الجسد، ويَكْمل عليهم قول بولس الرسول: "إن أكلتم أو شربتم فكل ما تفعلونه يكون لمجد الله" (١ كو ١٠: ٣١). لأنه إذا قويت الثلاث حركات المذكورة أولاً على الجسد لتميله عن الاستقامة، فالذي يكون طالباً الخلاص بالحقيقة ينزعها عنه براحة ويتمسك بالطهارة. لأن الروح صار له ملجأً، ويزيده قوة، ويطفئ عنه كل الشرور المتحركة عليه، كما يعلمنا بولس الرسول قائلا: " أميتوا أعضاءكم التي على الأرض، أي الزنى والنجاسة والأوجاع والشهوات الرديئة" (كو ٣: ٥)، وما يتبع ذلك.

والرِجْلان أيضا إن كانتا ليستا بمستقيمتين ولم يسعيا بتحرُّز كإرادة الله، فالقلب الذى امتلأ بالنعمة يضبطهما ويحركهما بإرادة الروح القدس ليخدما في الأمور الحسنة، لكي يتكمَّل الجسد بجميع الحسنات ويرجع تحت سلطان الروح القدس. وأنا أقول أن ذلك الجسد قد اتخذ شيئاً من الجسد (الروحي) المزمع أن يقوم في قيامة الصديقين.

وما قلناه هو من أجل أوجاع النفس التي امتزجت مع الجسد وهى تحركه إلى الميل والانجذاب نحو الأوجاع الشريرة بخدمتها في جميع الأعضاء. ومن ناحية أخرى أقول إن للنفس أيضاً حركات أخرى تخصها، وأوجاع مختلفة غير أوجاع الجسد، نريد أن نعرفكم بها. وهى: كبرياء، تعيير الناس، غضب، ضعف القلب، عدم الانضباط، وبقية الآلام. فإن أسلَمتْ ذاتها للرب بكل قوتها، فإن الله الصالح يعطيها التوبة الحقيقية، ويُظهِر لها هذه الأوجاع واحدة واحدة لكى تحيد

عنها، ولا تقوى عليها حركات العدو من خلال التجارب، لأن قصدهم (أي الشياطين) أن لا تخلص منهم.

فإن دامت النفس على الصبر والاستماع الحسن للروح القدس الذى يجتذبها للتوبة فإن الخالق الرؤوف يتحنن على تعبها وعلى أتعاب الجسد التي هي : كثرة الصوم ، والسهر الكثير ، والهذيذ في كتب الله، والصلاة بغير فتور، والخدمة لجميع الناس بطهارة القلب ومسكنة الروح. فإذا دامت في هذه كلها، فإن الرب الصالح ينظر إليها وينجيها من جميع التجارب، ويخلصها برحمته ويرحمها، لأنه محب البشر، ويحقُّ له التسبيح والتمجيد مع أبيه الصالح والروح القدس الآن وكل أوان إلى دهر الدهور.

الرسالة الثانية

لأولاده الرهبان

في اشتراع الناموس وتجسد الإله

الكلمة، وفيها يحثّهم على العمل بالوصايا

١ – أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء بالرب، ويهديهم السلام.

أيها الأحباء في الرب، إن الله لم يفتقد خليقته مرة واحدة فقط، بل في كل وقت من بداية العالم إلى نهايته. فكل من يطلب الرب باجتهاد ومحبة ويسمع تعاليمه، فإنه يكون معه ويعطيه الروح القدس.

وحيث أن الطبائع الناطقة المشتركة مع الأجساد قد ضعفت وتغيرت بسبب حركات النفس وماتت، فلم تستطع أن تفكر في خلقتها الأولى بل " صارت كالبهيمة" (يه ١٠)، "وخدمت (أي عبدت) المخلوقات دون الخالق" (رو١:٢٥)، فقد افتقد خالق الكل–بقوة صلاحه– خليقته بنواميسه المحيية. والذين استحقوا هذه النعمة، وسعوا بحسب الناموس بكل قوَّتهم ونيَّتهم، قبلوا روح البنوة وتعلَّموا من الروح القدس، فاستطاعوا أن يسجدوا للخالق "كما

يجب" (يو ٤:٢٤). وكقول الرسول بولس إن هؤلاء الذين ثبتت لهم الشهادة بإيمانهم "لم ينالوا الوعد لأن الله قدَّم النظر في منفعتنا نحن لكى لا يكملوا بدوننا " (عب١١:٣٩-٤٠).

٢ – فلأجل محبته العظيمة – إذ هو إله الكل – أراد أن يفتقد ضعفنا، فأقام لنا موسى مشرِّعا للناموس وأعطانا الناموس على يديه، فوضع لنا أساس البيت الحقيقي الذي هو الكنيسة الناطقة الواحدة، وبمشيئته دبَّر أن يردَّ الخليقة إلى خلقتها الأولى. فبنى موسى البيت ولم يكمله بل مضى وتركه. فأقام الله بعده جماعة الأنبياء بهذا الروح الواحد، فبنوا هم أيضا على الأساس الذي وضعه موسى ولم يكملوا بل مضوا وتركوه. ثم أن آباءنا الروحانيين لما نظروا هذا المرض ليس له شفاء، علموا أن لا أحد من هذه الخليقة يقدر أن يشفيه ما خلا وحيد الآب وحده، الذي هو صورة أزليته، الذي به كانت كل الخليقة التي هي مثاله، وتحققوا أنه هو المخلص والطبيب. فطلبوا باجتهاد من أجلنا نحن لأننا شركاؤهم في الأعضاء، قائلين: " أليس ترياق في جلعاد، ولا طبيب؟ لماذا لم يأت شفاء ابنة شعبي؟" (إر٨:٢٢)، " أُعطينا أدويتنا فلم نُشف، فالآن نهرب منها "(إر٥١:٩). لكن الله الكلمة – بمحبته غير المدركة – أتى إلينا كقول أنبيائه الأطهار: "يا ابن البشر اتخذ لك آلة السبي" (حز١٢:٣). وهو الكامل في صورة الله، ولم يختطف ذلك اختطافاً أن يكون عديلاً لله، لكنه اتضع وأخذ شكل العبد، وتشبه بنا نحن البشر، ما خلا الخطيَّة (عب٤:١٥)، إلى حدِّ موت الصليب. فرفعه الله بالأكثر وأعطاه اسماً

أعظم من جميع الأسماء، لكي تحثو باسم يسوع كل ركبة مما في السماء وعلى الأرض، ويعترف كل لسان أن يسوع هو الرب ومجد الله الآب (في ٢:٦-١١).

فمِن الآن، أيها الأحباء، ليكن هذا الكلام ظاهراً لكم: أن الآب بصلاحه لم يشفق على ابنه الوحيد، بل أسلمه (رو٨:٣٢) من أجل خلاصنا من خطايانا وآثامنا، واتضع لأجلنا "وشفانا بأوجاعه" (١بط٢:٢٤)، "وبكلمة قوته" (عب١:٣)، وجمعنا من أقطار الأرض وكل المسكونة. وصار لنا قيامة وخلاصاً من خطايانا، وأعلمنا أننا أعضاء بعضنا لبعض .

٣ – فأطلب إليكم، أيها الإخوة الأحباء، باسم ربنا يسوع المسيح، أن تعلموا جيداً هذا التدبير العظيم: أن الإله الكلمة تشبه بنا في كل شيء ما خلا الخطية. لهذا فالواجب على جميع الناطقين أن يعلموا هذا بحقيقة العقل، ويفرقوا بين الخير والشر ليستطيعوا أن يصيروا أحراراً بمجيئه إلينا. فالذين قد تحرروا وتدبَّروا بتدبيره، دُعوا عبيداً له. وهذه الدعوة ليست هي الكمال، بل البر في وقته هو الكمال، وهو الذى يرشد إلى البنوة .

ولما علم ربنا يسوع المسيح أن تلاميذه قد اقتربوا أن يقبلوا روح البنوَّة، وأنهم قد عرفوه وتعلَّموا بالروح القدس، قال لهم: "لست أدعوكم الآن عبيداً بل أحباء وإخوة، لأن كل ما سمعته من الآب أعلمتكم به " (يو١٥:١٥). ولهذا فالذين علموا بحقيقة جوهرهم العقلي، نطقوا بأصواتهم قائلين: " إننا لم نقبل روح العبودية فنخاف، بل روح البنوة الذى به ندعو الآب أبانا"

(رو٨:١٥). فالآن ، يا رب، قد علمنا ما أنعمتَ به علينا. فإن كنا بنين فنحن وارثون لله، وأحباء وشركاء ميراث المسيح (رو٨:١٧).

فليكن هذا الكلام ظاهراً لكم، والذى لم يستعد أن يقوم بكل قوته، فليعلم أن مجيء الرب المخلص سيكون له دينونة: "فنحن لقوم رائحة موت(تقود)للموت، ولقوم رائحة حياة (تقود) للحياة" (٢كو٢:١٦)، وأيضاً: "إن هذا لسقوط وقيام كثيرين من إسرائيل وعلامة تُقاوَم" (لو٢:٣٤).

فأطلب إليكم، أيها الإخوة الأحباء، باسم ربنا يسوع المسيح، أن لا تتوانوا عن خلاصكم، بل كل واحد فواحد منكم يشق قلبه لا ثيابه (يوء ٢:٣)، لئلا نكون قد توشحنا بالإسكيم ونحن نعد لنا دينونة، فإنه قد قرب الزمان ويدان كل واحد فواحد كعمله.

ولأجل غموض الكلام أردت أن أكتب إليكم أكثر، وتوقفت؛ لأجل القائل: " أعطِ الحكيم فرصة فيزداد حكمة " (أم٩:٩).

أهديكم السلام في الرب صغيركم وكبيركم ولتكن نعمة الرب معكم، أيها الإخوة الأحباء، إلى الأبد آمين.

الرسالة الثالثة

لأولاده الرهبان

يحثهم على العمل ، بأقوال من الإنجيل والرسول

١ – يا أولادي الأحباء، إن الإنسان الناطق إذ استعد أن ينعتق في يوم مجيء ربنا يسوع المسيح، فهو يعرف ذاته بجوهر العقل. لأن من يعرف ذاته يعرف أيضاً تدابير الخالق في خلائقه الأحباء بالرب، واشتراكهم في الميراث الأبدي بشركة أعضاء القديسين. ولهذا أنا أيضا أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح أن تسعوا بما يجب عليكم للرب، لكى يعطيكم جميعا روح الإفراز لتميزوا وتعرفوا المحبة التي لي فيكم أنها ليست محبة جسدانية بل محبة روحانية. ولذلك لم نسمِّكم بأسمائكم الجسدانية بل (بأسمائكم) التي لا تزول. لأن كل من يعلم اسمه الحقيقي ينظر اسم الحق. فيعقوب كان اسمه هكذا أولاً عندما كان مع الملاك في الليل، فلما كان الصباح دُعي اسمه إسرائيل (تك٣٢ :٢٨–٢٩). وترجمة إسرائيل العقل الناظر إلى الله.

وأنا أعلم أنه ليس يخفى عنكم أن مضادِّي الفضيلة يقصدون إبطال

الحقيقة في كل وقت. ولكن الله في كل وقت يتعاهد خليقته منذ بدء العالم وإلى الأبد. ولهذا فالذين يريدون أن يأتوا للخالق بكل (استعداد) ناموس قلبهم، فإنه يعلِّمهم أن يسجدوا له كما يجب (يو٤: ٢٤).

والآن فمِن كثرة الضعف وثِقل الجسد وحرب الأعداء الخبثاء، ذبلت حواس الجسد الطاهرة وصارت حواس النفس بغير قوة؛ فهي ليست محلولة مع الجسد لأن جوهرها (أي النفس) عادم الموت؛ ولا تستطيع أن تنعتق ببرها. ولهذا لم تستطع أن تطلب ما يخصها لترجع إلى حالة خلقتها الأولى؛ ولذلك عمل الله مع النفس بصلاحه، وعلَّمها أن تسجد للآب كما يجب (يو٤: ٢٤). لأن الله واحد هو، والجوهر العقلي أيضاً كائن في الوحدانية. فليكن هذا الكلام -يا أحبائي- ظاهراً لكم: إن كل المجتمعين (في حياة الشركة) إذا لم يكونوا قلباً واحداً، يجلبون على أنفسهم الحروب ويصنعون لهم دينونة.

٢ – فلما نظر الخالق إلى الخليقة، وأن ضربتها قد اتسعت، وهى محتاجة إلى أطباء ليشفوها، فسيدنا يسوع المسيح الذي هو خالقها وشافيها، أرسل أمامه منذرين؛ ولسنا نخاف أن نقول إن موسى كبير الأنبياء وواضع الناموس هو أحد هؤلاء المنذرين. والروح الفاعل في موسى هو ذاته الذي عمل في جميع الأطهار بعده. فجميعهم تكلموا من أجل ابن الله الوحيد. ويوحنا كان أيضاً واحداً من المنذرين؛ لأن " الناموس كان إلى يوحنا" (لو١٦: ١٦)، "ومنذ أيام يوحنا ملكوت الله يغتصب والغاصبون يختطفونه" (مت١١: ١٢).

وجميع هؤلاء اللابسين الروح عَلِموا أنه لا يستطيع أحد من الخليقة أن يشفي جرحاً عظيماً بهذا المقدار، إلا صلاح الابن وحده الذي هو وحيد الآب الذي أرسله خلاصاً لجميع المسكونة، إذ هو الطبيب العظيم الذي يمكنه أن يشفي هذا الجرح المتزايد.

٣ – والآب في صلاحه "لم يشفق على وحيده بل أسلمه عن خطايانا " (رو٨:٣٢). ولأجل خلاصناً جميعاً من آثامنا، وَاضَعَ الوحيد ذاته عنا (أي اتضع) وبذلك شفانا نحن جميعنا (من هذه الآثام). وبقوة كلمته جمعنا من كل العالم من أقطار الأرض إلى أقطارها، وأعطى لقلوبنا قيامة من الأرض، وعلَّمنا أننا أعضاء بعضنا لبعض.

فأنا أطلب إليكم، أيها الأحباء بالرب، أن تتأملوا المكتوب وتَعلَموا أنها وصايا الرب. وهذا عظيم لنا أن نعلم صورة ربنا يسوع المسيح التي اتخذها من أجلنا : لقد صار شبيهاً لنا في كل شيء ، ما خلا الخطية (عب٤:١٥). ولذلك ينبغي لنا أن نصير أحراراً لكي نتلذذ عند إتيانه. لأننا بالمستجهل من أمره (أي بما اتخذه من شكل جهالتنا) صرنا حكماء؛ وبمسكنته صرنا أغنياء؛ وبضعفه صرنا أقوياء (١كو١،٢٥،٣١:٢٤)؛ وصار هو لنا جميعاً قيامة، وأبطل عنا سلطان الموت. فمنذ الآن استرحنا، فلا نحتاج إلى يسوع آخر بالجسد؛ لأن مجيء ربنا يسوع أعطانا عبودية صالحة وأبطل جميع الشرور. وعند ذلك قال لتلاميذه: " إنني من الآن لست أسميكم عبيداً بل إخوتي" (يو١٥:١٥)، وعندما اقتربوا أن يأخذوا روح البنوّة علَّمهم الروح القدس أن

يسجدوا للآب كما يجب (يو٤:٢٤).

فأمَّا أنا الشقي أسير يسوع المسيح (أف٤:١)، فأقول إن هذا الوقت الذي نحن فيه (الآن)، صار لنا منه سرور، ثم نوح وبكاء. لأن كثيرين من جنسنا لبسوا شكل العبادة (٢تي٣:٥). فبعضهم عملوا بكل قلوبهم بعد عتقهم بمجيء المسيح، فهؤلاء أُسرُّ بهم. أما البعض فقد" أنكروا قوتها" (٢تي٣:٥)، وعملوا بإرادة قلوبهم وأجسادهم فصار مجيء الرب لهم عقوبة، وهؤلاء هم الذين أنوح أنا عليهم. وبعضهم فكَّروا في طول الزمان وبُعده وأضعفوا قلوبهم، فطرحوا عنهم شكل العبادة وصاروا شكل الوحوش، وهؤلاء أنا أيضا أبكي عليهم، لأن مجيء سيدنا المسيح صار لهم أيضاً عقوبة.

أما أنتم أيها الأحباء بالرب فاعرفوا هذا الوقت (رو١٣:١١)، وكونوا بكل القلب قرباناً لله .

٤– إني بالحقيقة، يا أحبائي بالرب، قد كتبت إليكم كما يُكتب لأناس ناطقين (أي عقلاء) يمكنهم أن يعرفوا المكتوب (في الكتب الإلهية)؛ لأني أعلم أن من يعرف المكتوب فإنه يعرف الله، فهو يعرف تدابيره التي يصنعها في خلائقه.

وليكن هذا الكلام واضحاً عندكم، كما تقدمتُ فقلتُ أولاً، إنني ما كتبت إليكم بمحبة جسدانية، بل بمحبة الإله الروحانية، الذي هو ممجَّد في مشورة القديسين (مز٨٨:٨).

وكونوا عالمين بقلوبكم بالذي يطلب من الله لأجلكم النار التي ألقاها الرب يسوع على الأرض (مت١٩:٦) يلقيها في قلوبكم لتستطيعوا أن تتدربوا في عزائمكم وحواسكم، وتميزوا بين الخير والشر، وبين أهل اليمين والشمال، والأمور الثابتة وغير الثابتة. ولأن ربنا يعرف أن الشيطان يطغى[١]، ولهذا أمر تلاميذه قائلا لهم: "لا تكنزوا لكم كنوزاً في الأرض "(مت ١٩:٦)، وقال أيضا: "لا تهتموا بالغد، فالغد يهتم بشأنه" (مت٣٤:٦).

وأنا في الحقيقة أقول لكم، يا إخوتي، إنه في زمان اعتدال الرياح كل الملاحين يفتخرون؛ ولكن إذا حدث تغيُّر في الرياح تظهر حينئذ معرفة الملاَّحين المهرة. فهكذا تأملوا هذا الوقت الذي نحن فيه، كيف هو (رو١١:١٣) .

من أجل هذا الكلام وغموضه، لي كلام كثير أقوله لكم، لكن القائل يقول: "أعطِ الحكيم فرصة فيزداد حكمة " (ام٩:٩).

أهديكم السلام بالرب جميعا صغيركم مع كبيركم، الذي له المجد إلى أبد الآبدين آمين .

(١) أي أن الشيطان يستمد طغيانه من أمور العالم المادية .

الرسالة الرابعة

لأولاده الرهبان

يعلِّمهم فيها أنَّ العبودية بناموس

الفضيلة ليست عبودية بل بنوَّة الحرِّية

أنطونيوس يكتب إلى أحبائه في الرب ، السلام .

لست أملُّ من أن أذْكُركم، يا نصيب الكنيسة، وأريد أن تعلموا أن محبتي لكم ليست جسدانية، بل هي محبة روحانية. لأن شركة الجسد غير ثابتة ولا باقية ، لكونها متحركة مع الرياح الغريبة.

فكل مَن يخاف الله ويحفظ وصاياه، هذا يكون عبداً لله.

وهذه العبودية التي نحن فيها، ليست عبودية بل هي برٌّ، وتؤدِّي إلى طريق البنوة. فمن أجل هذا اختار ربنا الأنبياء والرسل وأتمنهم على الكرازة الرسولية، فصاروا مربوطين بيسوع المسيح، كما قال بولس الرسول :" إنني أسير يسوع المسيح ، المدعو رسولا" (أف ١:٣). وكتاب الناموس جعل لنا

عبودية صالحة، لكى نستطيع أن نتسلط على جميع الآلام ونكمل "الخدمة الصالحة التي للفضيلة" (٢كو ٣:٩) التي تكلم عنها الرسول. فإذا اقتربنا من النعمة، عند ذلك يقول لنا ربنا يسوع المسيح كما قال لتلاميذه: "لست أدعوكم الآن عبيداً، بل أحبائي وإخوتي، لأن كل ما سمعته من أبي أعلمتكم به" (يو١٥:١٥).

والذين اقتربوا من النعمة، علموا بالروح القدس وعرفوا جوهرهم العقلي. فلمَّا علموا وعرفوا ذاتهم، صرخوا قائلين: "إننا لم نقبل روح العبودية فنخاف، بل روح البنوَّة الذي به نصرخ أيها الآب أبانا (رو٨:١٥). فلنعلم بما أنعم الله علينا، إذ جعلنا بنين له. وإذ صرنا بنين فنحن ورثة الله وشركاء ميراث القديسين (١كو٢:١٢، رو٨:١٧،كو١:١٢) .

فيا أيها الإخوة الأحباء، والوارثون مع القديسين، ليست الفضائل بأجمعها غريبة عنكم، بل هي لكم وفيكم. وأنتم لستم مختفين في هذا العالم الوقتي، بل ظاهرين لله. وروح الله لا يسكن في نفس أو جسد خاطئ (حك١:٤)، لأنه قدوس وبعيد عن كل غش.

وأنا بالحقيقة، يا أحبائي، أكتب إليكم كأناس ناطقين (أي عاقلين)، وقد استطاعوا أن يعرفوا ذواتهم. لأن الذي عرف ذاته فقد عرف الله. فلأجل هذا ينبغي أن نسجد له كما يجب. فالآن إذاً، يا أحبائي بالرب، اعرفوا ذواتكم. لأن الذين عرفوا ذواتهم عرفوا الزمان (رو١٣:١١)، والذين عرفوا زمانهم استطاعوا القيام بغير اضطراب من اللغات (أي الألسنة) المتغيرة. لأن

أريوس قام في الإسكندرية وذكر كلاماً غريباً عن الابن الوحيد، وجعل ابتداءً للذي ليس له ابتداء، واضطراباً للذي ليس بمضطرب. ونحن نعلم أنه إذا أخطأ إنسان لإنسان يُطلب من أجله إلى الله؛ ولكن الذي يُخطئ لله فلمن يتوجهون بالطلبة من أجله؟ (١صم٢:٢٥). أما ذلك الإنسان، الذي هو أريوس، فإنه ابتدأ ببدء عظيم (أي قد سلك في طريق الكبرياء) فضُرب ضربة لا شفاء لها. فلو كان ذاك قد عرف ذاته حقاً، لَمَا كان لسانه قد نطق بما لم يَعْلم. فمن الواضح أنه لم يعرف ذاته، ولذلك تجاسر على سر الابن الوحيد، الذي له مع أبيه والروح القدس المجد والعز والإكرام والسجود، الآن وإلى الأبد آمين.

الرسالة الخامسة

لأولاده الرهبان

يحثُّهم على التشبه بالقديسين ومغايرة أعمالهم

١- أنطونيوس يكتب لأولاده الأحباء بالرب، ويهديهم السلام.

يا أولادي الأطهار، الإسرائيليين بجوهرهم العقلي، لست بحاجة لأن أُسمِّي أسماءكم الجسدانية التي تَعبُر مع الجسد، بل أُسمِّيكم بني الإسرائيليين حقاً. اعلموا أن محبتي لكم هي روحانية وليست جسدانية؛ ولذلك لست أملُّ من الطلبة إلى الرب عنكم، لكي تعرفوا النعمة التي صارت لكم. لأن الله برحمته ينبِّه كل واحد بأسباب (أي بوسائل) نعمته. فلا تملُّوا ولا تتكاسلوا، يا أولادي، عن الصراخ للرب نهاراً وليلاً، لتغصبوا صلاح الله الآب أن ينعم عليكم بمعونة من العلاء ويعلِّمكم ما يجب (أن تعملوه).

لأننا نحن بالحقيقة، يا أولادي الأحباء، قاطنون في بيت اللصوص، ومربوطون برباطات الموت، وهو حاملنا جميعاً. فلا تعطوا من الآن "نوماً لعيونكم ولا نعاساً لأجفانكم" (مز١٣١: ٤) لترفعوا ذواتكم ذبائح للرب، بكل طهارة، وتصيروا أهلاً أن تعاينوه. لأنه بغير الطهارة، كما يقول الرسول، لا يمكن أحد أن

يعاين الرب (عب١٢: ١٤).

واعلموا، يا أحبائي، أنكم إذا صنعتم الخير تنيّحون جميع القديسين الأطهار، لأنهم لم ينالوا بعد النياح الحقيقي حتى نكمل نحن. وكذلك أيضا – بصنعكم الخير– تعطون سروراً لطغمات الملائكة في خدمتهم، وتُهيّئون فرحاً في مجيء السيد المسيح. وأما أنا الشقي، الكائن في هذا البيت الترابي، فإنكم تعطون سروراً لروحي. فأنا أعلم أن جميع القديسين الأطهار إذا رأونا نتوانى يحزنون ويقدمون دموعاً وتنهداً أمام الخالق؛ وأن ربنا لأجل تنهدات الأطهار يغضب على أرواح الشر، ويكسر عنا أعمالها الشريرة. فإذا رأوا التقويم والنمو، فإنهم (أي الأطهار) يُسرُّون كثيراً ولا يكفُّون عن تقديم الصلوات بكثرة عنَّا أمام الخالق بالسرور والفرح. فيفرح ربنا بأعمالنا الحسنة وبشهادات قديسيه وطلباتهم، ويهب لنا مواهب كثيرة.

٢ – لأن ربنا يكون دائماً مع خليقته العاملين بوصاياه، كما تقدم القول في رسائلنا.

٣ – فلنبكِ الآن، يا أولادي الأحباء، أمام صلاحه، ونقول كما قال المزمور: "ماذا نعطي عوضاً عن الخيرات التي صنعها معنا ؟ " (مز١١٥: ١٢)، ولنقل أيضا قول داود المزمّر: " أي منفعة في دمي إذا هبطتُ إلى الهلاك ؟ " (مز٢٩: ١٠).

هذا وأُريدكم أيضاً أن تعرفوا ما أقوله لكم وأشهد به. بالحقيقة، يا

أولادي الأحياء، أن كل من لم يبغض ما يختص بالطبيعة الهيولانية الأرضية مع كل أعمالها بكل قلبه، ويبسط عقله نحو العلاء لآب الكل، لا يستطيع أن يخلص. أما من يعمل هكذا كما قلت، فإن ربنا يتراءف على أتعابه ويُنعم له بالنار غير المرئية ولا هيولانيَّة لتحرق كل الأوجاع التي فيه وتطهر عقله. عند ذلك يسكن فيه الروح الذي لربنا يسوع المسيح ويكون معه ليستطيع أن يسجد للآب كما يجب. فإن بقينا مصطلحين مع هذه الطبيعة الهيولانية، فنحن أعداء لله وملائكته وجميع قديسيه.

٤ – وأنا أطلب إليكم باسم ربنا يسوع المسيح، أن لا تتوانوا عن حياتكم وخلاصكم، ولا تدعوا هذا الزمان الوقتي اليسير يسرق منكم الزمان الأبدي الذي لانهاية له؛ ولا هذا الجسد اللحمي أن يبعدكم من المملكة النورانية التي لا تحدُّ ولا توصف، ولا هذا الكرسي الفاني الهالك أن يُنزِلكم عن كراسي محفل الملائكة.

بالحقيقة، يا أولادي الأحباء، إن نفسي مبهوتة وروحي ساهية، كوننا جميعا قد أُعطِينا حرية الاختيار لنعمل أعمال القديسين، ونحن قد سكرنا بالأوجاع؛ مثل قوم سكروا من تلذذ الخمر، ولم نرد أن نرفع عقولنا لطلب المجد السمائي، ولم نماثل أعمال جميع القديسين، ولم نتبع آثارهم لنرث معهم المجد الأبدي.

واعلموا، يا أحبائي، أن القوات المقدسة العلوية، العقلية والنورانية، وكذلك الطبائع الحسية، هم جميعهم مخلوقون من البدء لشيء واحد هو تمجيد

الله. الملائكة ورؤساء الملائكة، الكراسي والأرباب، الشاروبيم والساروفيم، الشمس والقمر والنجوم، رؤساء الآباء والأنبياء والرسل، الشياطين والأبالسة وأرواح الشر وأراخنة الهواء، هؤلاء جميعهم هم إبداع الثالوث المقدس: الآب والابن والروح القدس. فبعضهم، لأجل حركتهم الحسِّية، سمَّاهم الله بحسب أعمالهم. والذين نموا بزيادة تمجدوا بزيادة من قِبل الله، الذي له المجد والعز والإكرام مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة السادسة

لأولاده الرهبان المقيمين بالفيوم

يعرّفهم فيها بقتالات الشياطين ومعونات القوات المقدسة؛ ويحثُّهم على الصبر وتكميل ما خرجوا إليه

١ – أنطونيوس يهدي السلام إلى أولاده الأحباء المقيمين بالفيوم وأعمالها، وجميع من يتبعهم، وكل الذين يتقدمون للرب بكل قلوبهم.

سلامي لكم بأجمعكم، من صغيركم إلى كبيركم، رجلاً كان أم امرأة، الذين أنتم بالحقيقة إسرائيليون.

إنكم قد نلتم الطوبى المغبوطة بحلول النعمة فيكم. لكن ينبغي لكم أن لا تتوانوا في الحرب من أجل الرب، الذي افتقدكم مشرقاً من العلاء، حتى تصيروا له ذبيحة طاهرة مقدسة.

٢ – إننا نعلم كيف سقطت الطبيعة الجوهرية من علوِّها إلى قعر الفضيحة والذلَّة، وكيف افتقدها الإله الرحوم بناموسه، على يدى موسى والأنبياء. وفي الآخر كان ذلك بابنه الوحيد، الذي هو رئيس أحبارنا العظيم

وطبيبنا الحقيقي الذي يمكنه شفاء أوجاعنا. فاتخذ جسدنا وأسلم ذاته عنَّا وعن خطايانا.

٣ – فهو من أجل جهلنا، اتخذ شكل الجهل، ومن أجل ضعفنا أخذ شكل الضعف، ومن أجل مسكنتنا أخذ شكل المسكنة، ومن أجل موتنا ذاق الموت. هذه كلها صبر عليها من أجلنا، وبموته خلصنا. لذلك يجب علينا أن نجاهد بمقتضى الجهاد، لكي يُسرَّ بنا جميع القديسين الذين يطلبون عنَّا في وقت توانينا، ويفرح الزارع والحاصد معاً.

٤ – ويجب عليكم، يا أولادي الأحباء، أن تعلموا ما أنا فيه من الألم العظيم بسببكم؛ لأني أنظر إلى أتعاب القديسين عنكم، وتنهدهم وطلبتهم التي يقدمونها لأجلكم كل حين أمام الله. فاحرصوا أن تماثلوهم؛ لأنهم نظروا (أي تأملوا) في تدابير خالقهم بتجسده العجيب وأتعابه لخلاصنا، وأيضاً في غباوة العدو الذي يطلب كل حين هلاكنا في الجحيم، الذي هو نصيبه مع جنده؛ لأنهم دائما يطلبون أن يهلكونا بهذا الهلاك العظيم.

فأطلب إليكم، يا أولادي الأحباء، أن تفهموا هذا وتنظروا في تدابير خالقنا وافتقاده لنا بالبشارة الظاهرة والخفية. لأننا إذ كنا نحن المدعويين ناطقين (أي عاقلين)، صرنا كغير الناطقين، لميلنا مع هوى العدو وصانع الشر وأب الكذب.

وأريدكم أن تعلموا كم هي ربوات الملائكة، وكم هي ربوات صنائع الشياطين، وأنواعها التي لا تحصى. إنهم لما علموا أننا قد علمنا بأوجاعنا

وفضيحتنا، وأننا نجتهد في الهروب من أعمالهم الرديئة العاملة فينا؛ وليس هذا فقط، بل ولا نسمع لمشوراتهم الشريرة التي يلقونها فينا، أخذوا يعملون أعمالهم بهزء. وهم يعلمون أن موهبة خالقهم صارت لهم ههنا موتاً، وقد قُضى عليهم أن يُبعَدوا ويصيروا ميراثاً للجحيم من أجل غفلتهم وكثرة خبثهم.

٥ – ولأجل هذا، يا أولادي الأحباء، لستُ أملُّ من الطلبة عنكم في الليل والنهار، لكى يفتح الرب أعين قلوبكم لتنظروا كثرة وعظم مكر الشياطين وشرِّهم الذى يجلبونه علينا كل يوم، وأن يعطيكم قلباً مستيقظاً وروح إفراز، لكى تستطيعوا أن ترفعوا ذواتكم لله ذبيحة حية مقدسة، وتتحرزوا من حسد الشياطين لكم في كل الأوقات، ومن كل مشوراتهم الرديئة، ومضادتهم الخفية وشرِّهم المستور، وأرواحهم المضلَّة وأفكار تجديفهم، وكل ما يلقونه فينا في كل وقت من ضعف الإيمان وسهو القلب، والاضطرابات الدقيقة التي يأتون بها كل يوم مع حزن القلب، وغضبهم ونميمتهم التي يلقونها فينا لكى ينمَّ بعضنا على بعض، ونزكِّى ذواتنا وحدنا وندين غيرنا، ويشتم بعضنا بعضاً، ونتكلم بلسان حلو والمرارة في قلوبنا، وندين الظاهر من غيرنا بينما اللص داخل ذواتنا، ونحارب ونقاوم بعضنا بعضاً لنقيم كلمتنا ونظهر مكرَّمين. كذلك هم (أي الشياطين) يدفعوننا إلى أعمال أخرى لا نقوى عليها ويصرفوننا عما هو لفائدتنا. وهكذا تجدهم يُضحِكوننا وقت البكاء ويُبكوننا في وقت الفرح؛ وهم في كل حين يقصدون إحادتنا عن الطريق المستقيم، لكى يستعبدونا بطغيانهم. وليس لى الآن وقت

لكى أتكلم عن بقية شرورهم واحدة فواحدة؛ غير أننى أقول إنه إذا امتلأت قلوبنا من مثل هذه الشرور، تصير لنا كالطعام؛ حينئذ يعظم الشر فينا ويتأصل، وتكون لنا عقوبة رديئة.

فلهذا يجب علينا أن لا نملَّ من الطلبة إلى صلاح الآب، لتأتى معونته وتعضدنا في جميع أعمالنا. لأن هذه الشرور المتعددة هي كائنة (وتقود) إلى هلاكنا، وبيتنا مملوء حرباً.

٦ – وأنا أقول لكم، يا أولادي الأحباء، إن كل إنسان يتلذذ بأفكاره فهو يسقط بإرادته، لأنه يفرح بما يُلقَى فيه من تلك الأشياء، ويظنها أسراراً عظيمة، ويزكّى ذاته وحده فيما يصنعه، ويكون مسكناً للروح الشرير الذى يشير عليه بالشر، ويمتلئ جسده من الأسرار المرذولة الخفية. فالذى يكون هكذا، فإن أوجاع الشياطين تملكه طالما أنه لم يُلقهم عنه.

فيجب علينا أن نعرف فخاخ الشيطان وحيلهم ونحيد عنها ونهرب منها. لأن الآثام والخطايا التي من الشياطين ليست ظاهرة ولا جسدانية؛ لأن ليست لهم أجساد حتى يُرَوا، لكن نحن نصير أجساداً لهم حين تقبل أنفسنا منهم أفكار الظلمة. وعند قبولها منهم يصيّروها ظاهرة في الجسد.

فاحرصوا، يا أولادي الأحباء، أن لا تجعلوا لهم فيكم موضعاً، لئلا يأتى غضب الرب علينا، فيفرحون ويستهزئون بنا وينصرفون. فلا تطرحوا عنكم كلامى؛ فإنهم يعلمون أن حياتنا هي من بعضنا بعض. لأن مَن هو الذى رأى الله قط فأمسكه لئلا يبعد عنه ويفرح به ويخلصه من مضادَّة هذا

الجسد الثقيل؟. أو رأى الشيطان جسدياً واقفاً قبالته فيهرب منه؟. بل إن الشياطين كائنون في الخفاء، ونحن نُظهِرهم بأعمالنا.

٧ – وجميع هؤلاء هم جوهر واحد عقلي؛ لكنهم لما بعدوا من الله صارت لهم هذه الأسماء المختلفة من أجل أعمالهم المتباينة، وثبتت عليهم كثرتها لكثرة شرورهم. وهذه الأسماء هي: شياطين، أبالسة، جنّ، أرواح شريرة، أنجاس، كفرة، أراخنة هذا العالم المظلم، وأسماء أخرى كثيرة مثل هذه.

أما القوات السمائية فأسماؤهم: رؤساء (ملائكة)، ملائكة، كراسى، أرباب، سلاطين، شاروبيم، ساروفيم. وقد ثبتت لهم هذه الأسماء لأنهم حفظوا إرادة خالقهم.

أما الذين أبغضوا ثقل هذا الجسد الذى نحن لابسوه، وقد طرحوه عنهم، فمنهم قوم دعوا رؤساء آباء، وبعضٌ أنبياء، ثم ملوك وكهنة وحكَّام ورسل. وهذه الأسماء صات لهم، رجالاً كانوا أم نساء، من أجل أعمالهم المختلفة، وميلهم إلى الخير، وأسباب أخرى كثيرة مثل هذا. إلا أنهم جميعا من مبدأ واحد وجوهر واحد. ولأجل هذا فمن يخطئ إلى قريبه فإنما يخطئ إلى ذاته؛ وكل مَن يصنع شرًّا بقريبه أو من يساويه في الحال، فإنما يصنعه بذات نفسه.

فمَن هو الذى استطاع أن يُوصِّل إلى الله تعباً أو راحة، أو يخدمه كما ينبغى، أو يسبحه كما يجب له، أو يكرمه حقَّ كرامته، أو يرفعه كاستحقاقه؟. فهذا ليس بمقدورنا بسبب ثقل أوجاع هذا الجسد علينا. فينبغى لنا، إذ قد علمنا هذا، أن ننبِّه الله الساكن فينا بأعمالنا وسرورنا وتراؤُفنا على بعضنا

البعض؛ ولا نحب ذواتنا وحدها حتى لا نصير من نصيب الشرير. بل لنعرف ذواتنا؛ لأن من يعرف ذاته فهو يعرف أيضا كل المخلوقات التي أبدعها الله من العدم إلى الوجود. ويعرف أن الطبيعة العقلية الباقية هي مخفية في هذا الجسد الذى ينحلُّ، لتُرى أفعالها فيه وبه. والذى عرف هذا يستطيع أن يحب الله وحده؛ والذى يحب الرب يحب الكل.

٨ – فيا أولادي الأحباء، لاتكلُّوا ولا تملُّوا من المحبة بعضكم لبعض؛ بل اجعلوا هذا الجسد الذى أنتم لابسوه مجمرة ترفعون فيها جميع أفكاركم ومشوراتكم الرديئة وتضعونها أمام الرب ليرفع قلوبكم إليه. اطلبوا منه بكل قوة العقل أن ينعم عليكم بإتيان ناره غير الهيولانية من العلاء إليكم، لتحرق كل ما في تلك المجمرة وتطهرها. فيخاف كهنة البعل المضادُّون ويهربون من أمامكم كهروبهم أمام إيليا النبي (١مل ١٨: ٣٨–٤٠)، وحينئذ تنظرون أثر إنسان طالعاً بالماء من الينبوع الإلهى ويمطر لكم المطر الروحانى الذى لروح البارقليط. فإذا نلتم يا أولادي هذه المواهب الفاضلة، لا تظنوا أنها من أعمالكم، بل هي قوة مقدسة مشتركة معكم في جميع أعمالكم.

فأنا أطلب إليكم أن تجتهدوا وتداوموا على أعمالكم الحسنة، لتُسرَّ بكم كافة القديسين وروحى أنا المسكين، لأننا جميعنا مخلوقون من مبدأ واحد وجوهر واحد عقلى غير مرئى.

٩ – فمن عرف ذاته يعلم أنه جوهر لا يموت، وأن ربنا يسوع المسيح هو العقل الحقيقي الذى للآب، الذى منه تحقيق جميع الطبيعة الناطقة التي خُلقَت

كشبه صورته. لأنه هو رأس الجسد ورأس الكنيسة، كما يقول الرسول بولس (كو ١:١٨)؛ ولهذا نحن جميعنا أعضاء بعضنا بعض، وجسد واحد للمسيح (١كو١٢:٢٧). "فلا تستطيع الرأس أن تقول للرجلين: لا حاجة لى بكما، بل إذا تألم عضو واحد ، فجميع الأعضاء تتألم معه" (١كو ١٢،٢٦:٢١)، كما قال الرسول أيضاً. فلأجل هذا يجب علينا بالأكثر أن نحفظ محبة بعضنا بعض. فالذى يحب أخاه يحب الله (١يو١:٢٤)؛ والذى يحب الله يحب نفسه، كما يقول الرسول يوحنا.

١٠ – إننى أطلب إليكم، يا أولادي الأحباء، أن تعلموا أيضا أننا قد خُلقْنا ذوى سلطة على ذواتنا (أي ذوى إرادة حرَّة)، من أجل ذلك تضادُّنا أرواح الخبث المحيطة بنا. لكن اعلموا ما (هو) مكتوب في المزمور: "ملاك الرب يعسكر حول أتقيائه، ومن جميع أحزانهم يخلصهم" (مز٣٣:٨).

١١ – وأريد أيضاً أن تعلموا أن كل الذين ابتعدوا عن الفضيلة، قد كمل فيهم غش الشياطين وتم عليهم المكتوب أنهم بنون لإبليس. لأن الشيطان سقط من رتبته السمائية لأجل كبريائه، وصار دائما يريد أن يُسقِط كل الذين يتقدمون للرب بكل قلوبهم بهذه الصفة التي سقط هو بها، أي العظمة ومحبة المجد الباطل. وبهما صارت الشياطين تحاربنا، وتظن أنها تفرقنا من الله بهما وبغيرهما. ولأنهم يعلمون أيضا أن كل من يحب أخاه فهو يحب الله؛ فلعدواتهم للفضيلة وجنونهم، يُلقُّون في قلوبنا أن نبغض بعضنا بعضاً، حتى الواحد منا لا يشتهى أن ينظر أخاه أو يكلمه كلمة واحدة.

لأجل ذلك، يا أولادي الأحباء، أنا أُعْلِمكم أن كثيرين بالحقيقة قد تعبوا في الفضيلة غاية التعب، ولعدم إفرازهم قتلوا أنفسهم. وأنا عارف أن هذا ليس بعجيب، لأنكم إذا تكاسلتم عن العمل قبل إحكامكم الفضائل في ذواتكم، تسقطون في هذا المرض الشيطانى الذى هو عدم الإفراز. وتظنون أنكم قد اقتربتم من الله وحصلتم على النور، بينما أنتم حقاً في الظلمة كائنون.

فيا أولادي الأحباء، ما الذى أحوج ربنا يسوع المسيح حتى شدَّ وسطه بمنديل وتعرَّى وصبَّ ماء في مغسلة وغسل أرجل الذين هم دونه (يو١٣،٥:٤)، إلا لأنه أراد أن يعلِّمنا الاتضاع، فأظهره لنا بهذا المثال الذى صنعه ؟.

فكل الذين يريدون الرجوع إلى رتبتهم الأولى لا يمكنهم ذلك إلا بالاتضاع. لأنه من البدء كانت حركة الكبرياء هي التي أسقطت (صاحبها) من السماء. فإذا لم يكن في الإنسان الاتضاع الكثير بكل القلب، وبكل النيَّة، وبكل الروح، وبكل النفس، وبكل الجسد، فلا يرث ملكوت الله كما هو مكتوب (١كو٦:١٠، غل٥:٢١، أف٥:٥).

١٢ – بالحقيقة، يا أولادي الأحباء بالرب، إنني أطلب ليلاً ونهاراً من خالقي، الذى روحي بيده، أن ينير عيون قلوبكم لتعلموا أولاً محبتي لكم، وبعد ذلك تنظرون خزيكم وتعرفونه. لأن من عرف خزيه فذاك هو الذى يطلب المجد المختار الحقيقي والذى عرف موته عرف حياته الأبدية.

وإني أخاف عليكم، يا أولادي الأحباء، أن يدرككم الغلاء

والفقر في الطريق المؤدية إلى الموضع الذى يمكنكم أن تنالوا فيه الغنى.

إننى أشتهى أن أنظركم ههنا بالجسد، لكنى أنتظر بالأحرى ذلك الدهر الذى ليس فيه حزن ولا كآبة ولا تنهد، بل سرور وفرح لمستحقيه جميعاً، وأن نجتمع هناك عن قريب وأراكم.

وبعد، فإن لى كلاماً كثيراً أقوله لكم، ولكن ليس هذا وقته، بل بالأحرى الآن وقت أهديكم فيه كل واحد باسمه، يا أولادي الأحباء، السلام بالرب الذى له التسبيح من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

✠

الرسالة السابعة

لأولاده الرهبان

يعرِّفهم فيها أن خلاصنا ليس بملاك ولا بإنسان بل بالإله الكلمة المتجسد. ويحثُّهم أن يجاهدوا بمقتضى الجهاد لينالوا الخلاص

١ – إنني أعرف "نعمة ربنا يسوع المسيح الذى تمسكن من أجلنا، وهو الغنى، لكى نستغنى نحن بمسكنته" (٢كو٨: ٩)، ونتحرر بخضوعه، ونتقوى بضعفه، ونتحكَّم بالمستجهل من أمره، ونقوم بموته، ونصرخ مع الرسول قائلين: "إن (كنَّا) قد عرفناه بالجسد، فلسنا الآن نعرفه كذلك" (٢كو٥: ١٦).

بالحقيقة، يا أحبائي، أقول لكم أن هذا الكلام دقيق في معناه، وعندي أقوال كثيرة فيه، ولكن ليس هذا وقت شرحها. بل أبتدئ فأُهديكم السلام بالرب، يا أولادي المباركين، وأُعرِّفكم أننا نحن الذين نريد التقرب من خالقنا، يجب علينا أن نجاهد في خلاص نفوسنا من الأوجاع (بموجب) الناموس العقلي.

لأنه بسبب تفاقم الغش ولذَّة الأوجاع وكثرة التجارب الشيطانية، ضعفت حواسَّنا وماتت حركات نفوسنا. ولهذا لم نستطع أن نعرف قدر جوهرنا العقلي

(١) لسبب ما قد سقطنا فيه من الآلام. وليس لنا خلاص إلا بربنا يسوع المسيح (أع٤: ١٢). لأن الرسول بولس كتب أنه بآدم الأول كان الموت، وبالمسيح كانت الحياة (١كو٢٢، ١٥: ٢١).

إذن فالسيد المسيح ربنا هو حياة كل الناطقين المخلوقين كشبه صورته التي هي عقل الآب الحقيقي. وصورة الآب غير منتقلة ولا متغيرة؛ أما هذه الصورة الموجودة في خلائقه فهي منتقلة (ومتغيرة). فلأجل هذا صار بها موتنا (وهى بخلاف الطبيعة العقلية)، ومنها وُلدنا بجسد وصرنا بيتاً مملوءاً حرباً.

وأنا أشهد لكم وأقول، أن جميع الفضائل قد بادت منا. فلما نظر الله الآب إلى ضعفنا وأننا لا نستطيع قبول ظهوره فينا كهيئته بالحق، أرسل ابنه الوحيد فاتخذ جسدنا وتعاهد خلائقه وخدامه وقدّيسيه بمواهبه.

٢ – فيا أولادي المحبوبين عندي، أنا أطلب إليكم بمحبتي فيكم أن تتقدموا للرب بكل قلوبكم وبكل نفوسكم، وتعلموا أن كل أعمالنا التي نقدمها للرب بالنعمة التي أعطاها لنا، ليست تقوم مقابل تواضعه عنا. لأنه ليس بمحتاج لنا، ولا أتى إلينا من أجل تواضعنا، بل لعظم صلاحه ورأفته علينا، ولمحبته غير المدركة. لم يعمل معنا كخطايانا (مز ١٠٢: ١٠)،بل جعل القمر والنجوم لخدمة هذا البيت المظلم، الذى هو العالم، لأجل قيام الجسد. وجعل أيضاً أشياء كثيرة خفية تخدمنا، أشياء لا ننظرها بأعيننا الجسدانية. أما نحن، فلأجل كثرة خطايانا، صيَّرنا خدمتها لنا باطلة.

---

(١) قارن رسالة ٢: ٤

فما الذى نقوله يوم الدينونة لربنا ؟. لأنه ما من خير من الخيرات لم يعمله معنا هو بنفسه. لأن رؤساء الآباء لم يتعبوا عنا، والكهنة لم يعلمونا، والحكام والملوك لم يحاربوا عنا، والرسل لم يُطرَدوا لأجلنا، بل الابن الحبيب الكلمة مات عنا جميعا.

لذلك يجب علينا أن نستعد بكل طهارة، وندرِّب عزائمنا وحواسنا المتنقلة بين الخير والشر.

٣ – لأننا نحن جميعا لابد لنا أن ننتقل ونلتقى بربنا يسوع المسيح الذى أتى إلينا وخلصنا بكل تدابيره وتشبَّه بنا في كل شيء ما خلا الخطية (عب٤:١٥).

وقد كان هذا عند قوم – بسبب ما فيهم من كثرة شر الشياطين الخبثاء – جهالة، وعند قوم شكًّا (١كو١:٢٣)؛ وأما عند آخرين فمنفعة، وآخرين حكمة وقوة، وآخرين قيامة وحياة. فيا أولادي، ليكن هذا لكم ظاهراً أن مجيء ربنا صار دينونة لأولئك، وحياة لهؤلاء.

وأما عن هؤلاء، فيقول إرميا النبي: "ستأتي أيام، قال الرب، أجعل ناموسي في صدورهم وأكتبه على قلوبهم؛ وأكون لهم إلهاً، وهم يكونون لي شعباً. ولا يعلِّم أحد، حينئذ، من كان من أهل مدينته، ولا أخاه، قائلاً له: اعرف الرب؛ لأنهم جميعهم يعرفونني من صغيرهم إلى كبيرهم؛ وأُمحِّصهم من ذنوبهم، ولا أعود أيضا أذكر لهم خطاياهم" (أر٣١:٣١–٣٤).

وأما عن أولئك فيقول الرسول: "كي يستدَّ كل فم ويخضع العالم كله لله" (رو٣:١٩). لأن الـذين عرفـوا الله لم يمجـدوه كالإلـه (رو١:٢١،١٨)، لعـدم معرفتهم التي لم تقبل حكمة الله؛ هؤلاء يحل عليهم الغضب.

والآن، يا أولادي الأحباء، إني أنظر أن كل واحد فواحد منّا قد أسلم ذاته بإرادته إلى الشرور. وهذه، بسبب جهلنا، قد تكمَّلت فينا وتملَّكت علينا. ولذلك، أخذ ربنا شكل جهلنا ليخلصنا به. وأكمل كل تدابيره إلى موت الصليب، لكى بموته وقيامته، تكون لنا قيامة فاضلة، وتبطل عنا قوة الموت التي هي قوة الشيطان؛ وإذا حرَّرنا ذواتنا وتشبهنا بتواضعه نصير تلاميذ له.

٤ – بالحقيقة، يا أحبائي بالرب، أقول لكم إنني مضطرب جداً بجسدي وبروحي، كوننا تسمَّينا بأسماء قديسين ولبسنا لباسهم ونحن نفتخر بذلك أمام غير المؤمنين، بينما ليس لنا قوة العمل. وأخاف أن يتمَّ علينا قول الرسول: "قد أخذوا شكل الديانة، وهم لقوَّتها جاحدون" (٢تى٣:٥). وأنا لأجل محبتي لكم لست أفتر من الطلبة إلى الله عنكم، كي ما تفهموا حياتكم المخفية فيكم، وتعملوا ما تستحقون أن ترثوا به ما لا يُرى.

واعلموا، يا أحبائي، أننا إذا أكملنا أعمالنا بكل قوتنا، كإرادته، فهذا هو الواجب علينا؛ لأنه طبيعي في جوهرنا وليس لنا فيه فضل. لأن كل من يخدم الله ويطلبه بكل قلبه، فهو يفعل ذلك بجوهره الطبيعي. فإن أتت منه خطية، يُلام عليها، لأنها غريبة عن جوهره الطبيعي.

فاعرفوا ذلك، واعلموا أنني لم أُخفِ عنكم شيئاً لم أُعلِمكم به مما هو

لخلاصكم (أع٢٠: ٢٠). وأعرِّفكم أيضاً أن الجسد مضادٌّ للروح دائماً، كما يقول الرسول بولس (غل٥: ١٧).فالذين يريدون أن يتدبروا بسيرة النسك بيسوع المسيح يجب عليهم أن يطردوا عنهم الشهوات الجسدية بالطلبة للرب يسوع المسيح؛ وهو برحمته وتحننه يُبطِل عنهم كل الضيقات والتجارب التي تأتى عليهم من جهة الجسد، تلك التي كانت على آبائنا الرسل.

وهؤلاء بصبرهم أبطلوا قوة العدو التي هي عبادة الأوثان؛ وأعطاهم ربنا عزاء وقوة بقوله لهم: "في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن تقوَّوا فإني قد غلبت العالم" (يو١٦: ٢٣). وقال لهم أيضاً: "إن كانوا قد طردوا الأنبياء، وطردوني، فسيطردونكم؛ وإن قد أبغضوني فسوف يبغضونكم (يو١٨، ١٥: ٢٠)، لكن تقوَّوا واعلموا أنه بصبركم تحلون قوة العدو" (مت ٢٤: ١٢).

وأنا أيضاً، يا أولادي المباركين، أريدكم أن تعرفوا هذا القول، وما قاله أيضاً بولس الرسول: "إن أوجاع هذا الدهر لا توازى المجد المزمع أن يظهر فينا" (رو٨: ١٨).

واعلموا أنني لمحبتي فيكم كلمتكم بهذه الكلمات القليلة الروحانية لتطيب قلوبكم. لأنى أعلم أن العقل إذا كان منتبهاً فلا يحتاج إلى كثرة الكلام الجسداني.

٥ – وأنا فرِحٌ بالرب لأجلكم، يا أولادي المحبوبين الأطهار بجوهرهم العقلي. وأريدكم أن تعرفوا مقدار المواهب الصائرة إلينا من عند الرب لحفظنا ونُموِّنا، وتتمسكوا بالأعمال الطبيعية الجوهرية، لا بتلك الأعمال غير

الجوهرية.

إنني، أنا الشقي، أُعلِمكم أيضا أن ربنا قد نبَّه عقلي من نوم الموت بنعمته، وقد صار لي نوح وبكاء مدة ما بقى لي من هذا الزمان اليسير على الأرض. لأنى أفكر في نفسى: "ما هو الذى نعطيه للرب عوضا عن الذى صنعه معنا؟" (مز١١٦: ١٢). فقد جعل ملائكته تخدمنا، وأنبياءه يتنبأون لنا، ورسله يبشروننا؛ وما هو أعظم من كل هذا: إرساله ابنه الوحيد لخلاصنا.

ولذلك أطلب إليكم أن توقظوا قلوبكم بخوف الرب، وتعلموا أن يوحنا السابق عمَّد بالماء للتوبة ليجتذبنا إلى معمودية ربنا يسوع الذى عمَّد بالروح القدس والنار، التي هي نار الأعمال الصالحة. فلنستعد الآن أن ننقِّى ذواتنا جسداً وروحاً لنقبل معمودية ربنا يسوع المسيح ونعمل (الأعمال الصالحة) ونرفع ذواتنا قرباناً مقبولاً له. لأن الروح المعزى الذى أخذناه في المعمودية يعطينا العمل بالتوبة ليردنا ثانية إلى رئاستنا الأولى فنرث الميراث الذى لا يزول. واعلموا أيضا أن كل الذين يعتمدون في المسيح، فللمسيح يلبسون، كما قال الرسول بولس، وينالون نعمة الروح القدس. فإنه لا عبد ولا حرٌّ، ولا ذكر ولا أنثى، ينال هذه النعمة إلا وتبطل منه هذه اللغات (أي الأسماء) الجسدانية ويقبل تعليم الروح القدس الذى ننال فيه وقتئذ ميراث ملكوت السماء الأبدي، والسجود للآب كما ينبغي، بالروح والحق.

فلا يقولنَّ أحد منكم، يا أولادي الأحباء، انه لا توجد لنا دينونة في يوم مجيء ربنا الأخير، بل ليعلم بالأحرى أن مجيء سيدنا المسيح الأول قد فرغ أن

يكون لنا دينونة في ذلك اليوم، إذا لم نكمِّل فرائضه.

واعلموا أن كل لابسي الروح يطلبون في كل وقت عنا أن نتحد بربنا، ونرث ما هو معدٌّ لنا منذ البدء (مت٢٥: ٣٤)، ونلبس ثانية صورتنا الأولى الجوهرية التي تعرَّينا منها بالمخالفة. لأن صوت الآب على الدوام لهؤلاء اللاَّبسي الروح، يُظهر لهم صلاحه ويُذكِّرهم بالمكتوب القائل: "عَزُّوا شعبي، يا كهنة (الرب)، وتكلَّموا في قلب أورشليم" (أش٤٠: ١-٢ سبعينية)

وأنا أسأل إله السلام في كل حين – الذى برحمته يتعاهد خلائقه ويُظهر صلاحه فيهم – أن يعطيكم حكمة ومعرفة ونعمة وروح إفراز لتفهموا ما قد كتبته إليكم من وصايا الرب، وتعملوا بها لتحفظكم إلى النفس الأخير؛ وهو يقبل منى تضرعي الذى أقدمه إليه عن خلاصكم جميعاً، يا أبنائي الأحباء بالرب، الذى المجد والعزاء والإكرام إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الثامنة

لأولاده الرهبان

يحثُّهم على الجهاد من أجل قبول نار الروح القدس، ومن أجل اجتماعهم هناك. ويذكِّرهم أيضاً بجهاداته، ويعرِّفهم بما حصل له ليشجعهم بذلك. ويجب أن تُقرأ هذه الرسالة في عيد نياحته .

١ – أيها الأحباء في الرب، أكتب إليكم مثل الأبناء الأحباء عند آبائهم. لأن الأبناء حسب الجسد، إذا ما تأملوا آباءهم ووافقوهم، فإن الآباء يحبونهم من كل قلوبهم ويكرمونهم غاية الإكرام، أكثر من أبنائهم غير المطيعين لهم. وإذا اقتبلوا شيئاً حسناً، ادَّخروه للأولاد الموافقين لهم والمتشبهين بهم. فإذا كان الآباء الجسدانيون يصنعون هكذا، فكم بالأحرى آباؤنا الروحانيون يريدون أن يعطوا الكرامات لأولادهم الموافقين لهم، المتشبهين بهم.

أما أنتم يا أحبائي في الرب، الذين أحبهم من كل قلبي، فإنني أشتهى أن أكون عندكم كل حين وأنظركم وأبارك عليكم. لأن تعاهدكم لي وتشبهكم بي ورجوعكم إلى الله؛ كل ذلك أنظره مستقيما. لقد حللتم في قلبي (٢كو٧:٣) بكل سبب. ومن الآن أطلب من إلهى لأجلكم ليلاً ونهاراً لكي

يعطيكم مواهبه التي أعطانيها، بنعمته فقط لا باستحقاق في. فهذا هو الغِنَى العظيم الذى أعطانيه ربنا، وأنا أسأله أن يعطيه لكم أيضاً. وهذا غاية شهوتي وطلبتي دائماً، الليل والنهار، أن تكونوا معي في الموضع الذى أنا فيه عند انتقالي من هذا الجسد. لأن ربنا دائماً من صغرى إلى هذا اليوم يسمع لي، وأنا عالم أنه برحمته يسمع لي في هذه أيضاً.

لقد كتبت لكم هذا، يا أولادي الأحباء، لأجل عظم محبة قلبي لكم؛ لأنكم بجهادكم للرب قد تشبهتم بي في كل شيء. واعلموا أن سيدنا المسيح لأجل محبته العظيمة هكذا صنع مع تلاميذه؛ إذ قال لهم: "إنني لست أدعوكم الآن عبيداً بل إخوة وأحباء وأبناء" (يو١٥:١٥). ولما صاروا له بنين، طلب إلى الآب من أجلهم قائلاً: "يا أبتِ، أريد أن يكون هؤلاء حيث أكون أنا، لأنى أنا فيك وهم في، لكى نكون بأجمعنا كاملين في الوحدانية" (يو١٧،٢١:٢٤-٢٣). فانظروا وافهموا كيف طلب ربنا يسوع من أبيه لأجل تلاميذه، كونهم صاروا له بنين، أن يكونوا معه حيث يكون هو. وهكذا الآن هي طلبتي، يا أحبائي، أن نكون جميعنا في المكان الذى ليس فيه حزن ولا مرض ولا ظلمة ولا أرواح خبيثة؛ بل مملوء من كل السرور والنور والحياة الأبدية والأكاليل التي لا تضمحل وأشياء أخرى كائنة هناك، لا يستطيع لسان أن يصفها، لأنها دائمة إلى أبد الأبد.

يا أولادي الأحباء، صلُّوا إلى الرب أن يسهل طريقي إليكم دفعة أخرى، أقيم عندكم زماناً ما. لأنني أعلم أن هذا لبنيانكم وفرحكم في الإيمان. فأنا

أيضاً أفرح إذا أتيت إليكم لتفرحوا وتنموا في الإيمان، وأعرِّفكم بأسرار أخرى كثيرة لا يمكنني أن أكتبها إليكم في هذه الرسالة.

والآن فإن أمَّكم سارة، التي هي الروح، تفرح بكم. هذه التي أكملت حبلها وولدت روحاً إلهياً فيكم، وتشتهى أن تكمِّلكم- كما طلبتُ منها عنكم- بذلك الروح الناري العظيم، هذا الذى قبلته أنا؛ فاقبلوه أنتم أيضا. وإذا أردتم أن تقبلوه ويسكن فيكم، قدموا أولاً أتعاب الجسد وتواضع القلب، وارفعوا أفكاركم إلى السماء في الليل والنهار. واطلبوا باستقامة قلب هذا الروح الناري، وحينئذ يُعطَى لكم. لأنه هكذا حصل عليه إيليا التشبيثي وأليشع وجميع الأنبياء الآخرين.

ولا تفكروا في قلوبكم وتكونوا ذوى قلبين، ولا تقولوا: من يقدر أن يقبل هذا؟ لا يا أولادي؛ لا تدعوا هذه الأفكار تأتى على قلوبكم، بل اطلبوا باستقامة قلب وأنتم تقبلونه.

٢ – وأنا أيضاً، أبوكم، أجتهد معكم وأطلب لأجلكم لكى تقبلوه، لأنى أعلم أنكم كاملون وقادرون على قبوله. لأن كل من يفلِّح ذاته بهذه الفلاحة فإن الروح يُعطَى له من جيل إلى جيل وإلى الأبد. لكنني أعرف أُناساً قبلوه، ولما لم يكملوا هذه الفلاحة لم يثبت فيهم. أمَّا أنتم، يا أحبائي، الذين أشتهى أن أنظركم لسبب استقامة عقولكم، أديموا الطلبة باجتهاد من كل قلوبكم فيُعطَى لكم؛ لأن ذلك الروح يسكن في القلوب المستقيمة.

وإذا قبلتموه، فإنه يكشف لكم الأسرار العلوية وأشياء أخرى لا أستطيع

أن أعبِّر عنها في قرطاس بقلم ومداد. فهو يُبعِد عنكم خوف البشر، والوحوش، والمجاعة وكل ما يشبه ذلك. ويكون لكم فرح سماوي ليلاً ونهاراً، وتكونون وأنتم في هذا الجسد كمن هو في الملكوت.

حينئذ لا تطلبون عن أنفسكم فقط، بل تطلبون عن الآخرين أيضاً. لأن كل مَن قَبِل هذا الروح لا ينبغي له أن يطلب عن ذاته فقط لكن أيضاً عن الغير كما صنع موسى. فهو لما قَبِلَ هذا الروح صلَّى من أجل الشعب قائلا لله: "إن أهلكتَ هؤلاء فامحُ اسمي من سفر الحياة" (خر٣٢:٣٢).وهكذا تكون طلبة كل مَن يبلغ إلى هذا الحد من القديسين وغيرهم، فإنني لا أقدر أن أصفهم بأسمائهم واحداً واحداً؛ أمَّا أنتم فحكماء وتعرفونهم .

أمَّا أنا فطلبتي الآن ليلاً ونهاراً أن تكون فيكم عظمة لذَّة هذا الروح الذى قبله جميع الأطهار.

٣ – إنني، يا أولادي الأحباء، بعد أن كتبتُ هذه الرسالة، تحرَّك في روح الله أن أكتب لكم عن هذا الروح الناري في آخرها وعن المحبة الإلهية. وإذا أتيتُ إليكم بمعونة الرب عرَّفتُكم أشياء أخرى كثيرة عن هذا الروح، لكى تقتنوها جميعها.

وكما أهديتكم السلام في بداية الرسالة كذلك أيضا أهديكم السلام بمحبة الرب في آخرها، بهذا الروح الناري الذى قبلتُه أنا وإياكم بنعمة الرب.

وأطلب إليكم أن تتركوا مشيئتكم الحسِّية وتلزموا الهدوء بكل نوع، لكى

ما تسكن عندكم القوات العلوية، بمؤازرة الروح القدس؛ وتعينكم على العمل بإرادة الثالوث الأقدس الآب والابن والروح القدس، له السبح دائماً سرمدياً إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة التاسعة

لأولاده الرهبان

يعرِّفهم مقدار فعل قوة الله في القديسين،

ويحثُّهم على اقتنائها لينالوا الملكوت الأبدي

١ – أيها الأحباء بالرب، إن الإنسان إذا كان يحب الله بكل القلب وبكل الفكر وبكل النيَّة وبكل القوة، فإنه يقتني خوف الله. والخوف يولِّد البكاء، والبكاء يولِّد القوة. وبكمال هذه في النفس تثمر في كل الأشياء.

وإذا نظر الله إلى هذه الثمرات الحسنة في النفس، فإنه يقبلها إليه كرائحة بخور مختار، ويفرح بها مع ملائكته في كل حين، ويعطيها سروراً، ويحفظها في جميع طرقها لتصل إلى موضع راحتها. والشيطان لا يقوى عليها، لأنه ينظر إلى الحارس العلوى محيطاً بها، ويخاف أن يقترب من ذلك الإنسان بجملته، لأجل تلك القوة العظيمة.

فالآن يا أحبائي بالرب، يا من تحبهم نفسى وتعلم أنهم يحبون الإله، اقتنوا لكم هذه القوة لكى تخاف منكم الشياطين، وتخفّ عليكم الأتعاب التي تمارسونها، وتحلو لكم الإلهيات؛ لأن حلاوة حب الله أحلى من الشهد.

ولأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في المجامع لما لم يذوقوا حلاوة

حب الله، ولم يقتنوا القوة الإلهية، وكانوا يظنُّون أنهم اقتنوها؛ ولكنهم لم ينالوها لأنهم لم يتَّجروا فيها ولهذا لم يعطها الله لهم. فكل مَن تاجر فيها فإنه ينالها بعطية الله له. لأن الله ليس عنده محاباة ولا يأخذ بالوجوه (أع١٠: ٣٤)، بل هو في كل الأجيال، جيلاً بعد جيل، يعطيها لمن يعمل بأعمالها.

٢ – والآن، يا أحبائي في المسيح، أنا أعلم أنكم تحبون الله. فاحرصوا أن يكون ذلك من كل قلوبكم، وبهذا يفرح قلبي، لكى تستطيعوا أن تقتنوا قوة الله، وتَجيزوا بقية حياتكم في سرور وفرح، وتخفَّ عليكم أعمال الرب. لأن القوة التي تُعطَى للإنسان هي التي تهديه إلى مواضع الراحة، وتحفظه حتى يجوز (أي يعبر) كل قوات الهواء (أف٢: ٢)، كما قال المزمور: "مغبوط هو الرجل الذى يكمِّل شهوته منهم، حينئذ لا يخزون إذا كلَّموا أعداءهم في الأبواب" (مز١٢٧: ٥).

اعلموا، يا أولادي الأحباء، أنه ما دام مع الإنسان نور الله وقوّته، فهو يرفض (أو يحتقر) شتائم أهل العالم وكراماتهم أيضاً؛ كما ويبغض جميع ما في هذا العالم ونياحات الجسد، ويطهِّر قلبه من الأفكار الشريرة، وعند ذلك يقدم صوماً ودموعاً الليل والنهار مع طلبات نقية، فيعطيه ربنا تلك القوة عينها.

فيا أولادي المباركين، اجتهدوا في اقتناء تلك القوة التي بها تعملون جميع أعمالكم براحة وخفة، وتجدون دالة عظيمة أمام الرب ويكمل لكم جميع طلباتكم.

واعلموا أنى كنت أريد أن أكتب لكم كلاماً كثيراً لأجل محبتي لكم.

لكنى اقتصرت على هذا اليسير، وأطلب أن يجعله ربنا يسوع المسيح لكم خلاصاً وفرحاً. الذى ينبغي له المجد والإكرام من كل الناطقين مع أبيه الصالح وروحه القدوس، إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة العاشرة

لأولاده الرهبان

عن المجد الباطل وقتالاته،

وكيف يجاهدون ليخلصوا منه

١ – يا أولادي المباركين، أكتب إليكم هذه الرسالة لكي ما تعرفوا أن محبِّي الله وطالبيه بكل قلوبهم، يسمع لهم ويعطيهم كل ما يطلبونه.

أما الذين لا يأتون إليه بكل قلوبهم، بل يكونون ذوى قلبين، وجميع ما يصنعونه ظاهراً إنما هو لكي ينالوا المجد من الناس (مت٦:٢)، فهؤلاء لا يستمع الله لهم في شيء ما من طلباتهم؛ بل يغضب عليهم بالأكثر لأنهم يعملون أعمالهم بالرياء. ولهذا يتم عليهم قول المزمور القائل: "إن الله يبدد عظام المرائين"(مز٥٢:٦).

٢ – لأن الله جلَّ ذكره، يغضب على أفعالهم، ولا يسرُّ بطلباتهم ويقاومهم بزيادة، لأنهم يعملون أعمالهم بغير أمانة، كونهم يعملونها لمراءاة الناس. ومن أجل ذلك لن تفعل فيهم قوة الله، لأنهم ضعفاء القلوب في ما يبتدئون به من الأعمال. لذلك لم يعرفوا الحلاوة الإلهية ولا خفَّتها ولا فرحها، بل ثقلت أعمالهم على نفوسهم كالحِمْل الثقيل.

وكثيرون من جنسكم هم هكذا. فلأنهم لم يقتنوا هذه القوة التي تعطى للنفس لـذَّة، وتملأها فرحاً وسروراً يوماً فيوماً، وتشعل فيها حرارة إلهية، خدعهم هذا الروح الخبيث وجعلهم يعملون أعمالهم لمراءاة الناس.

٣ – أما أنتم، يا أحبائي المحبوبين لقلبي، الذين قدمتم أثمار أتعابكم أمام الرب، فاجتهدوا أن تبتعدوا من روح المجد الباطل، وتقْوَوا عليه دائماً، لكى يقبل ربنا أثماركم التي قدمتموها أمامه، وتنالوا منه القوة التي تُعطَى لمختاريه.

إن قلبي متعزٍّ بسببكم، يا أحبائي، لأنى أعلم أنكم لا توافقون روح المجد الباطل بل تضادونه كل حين؛ ولهذا فثمرتكم طاهرة وحيَّة. فداوموا على مضادة ذلك الرُّوح الرديء. لأنه عندما يبتدئ الإنسان بالأعمال البارَّة والاجتهاد الصالح، يأتي إليه (روح المجد الباطل) ويشاركه ويجعله يتأخر عن ذلك، حتى لا يدعه يصنع شيئاً من البرِّ؛ لأنه روح شرير يضاد كل من يريد أن يكون مؤمناً(أميناً)

كثيرون يفتخر الناس بهم لأنهم أمناء مسرعون في تقديم الرحمة (أي الإحسان) للمحتاجين؛ وهؤلاء أيضاً يضادهم ذلك الروح. وقوم آخرون يشاركهم في أعمالهم ويُتلِف أثمارهم ويعطِّل تقدُمتهم، وذلك لأنهم يصنعون فضائلهم ورحمتهم ممتزجة بمجد الناس. وهؤلاء يظن الناس أن لهم ثمرة وليس لهم، لأنهم كالجميزة الرديئة التي يظن من يراها من بعيد أنها مملوءة من الثمر الحلو، وعندما يقترب إليها لا يجد فيها غير الثمر الفاسد، وليس فيه من الحلاوة شيء.

فهكذا هم كل الذين يقبلون المجد من الناس، فإن الناس يظنون أن لهم أثماراً كثيرة صالحة أمام الرب، في حين أنه ليس فيهم شيء من الثمر بالجملة. بل قد تركهم جافِّين لأنه لم يجد فيهم ثمرة صالحة، ومنعهم من حلاوة لاهوته العظيمة.

٤ – أما أنتم، يا أولادي المجاهدين، فاجتهدوا أن تقفوا أمام روح المجد الباطل وتُضادُّوه وتَقْوَوا عليه، فتأتى قوة الله وتعينكم وتثبت عندكم وتعطيكم نشاطاً وحرارة كل حين. وأنا أطلب عنكم أيضا أن تدوم هذه الحرارة فيكم سرمداً، لأنها حقيقية وليس شيء أفضل منها.

فإن نظر أحد منكم أن هذه الحرارة ليست فيه، فليطلبها باجتهاد وهى تأتى إليه. لأن هذه الحرارة هي تشبه النار التي إذا قصد الناس أن يسلقوا شيئا من الخضر، فإنهم ينفخون فيها حتى تشتعل. فإذا اشتعلت فإن الماء يكتسب بحرارتها طبع النار ويفور طالعاً ومُحرِقاً. فهكذا يا إخوتي، إذا رأيتم نفوسكم قد بردت بالغفلة والتواني، فاجتهدوا في إقامتها ونوحوا عليها، فلن تتأخر تلك الحرارة عن أن تأتى وتتحد بها (أي بالنفس) وتُكسِبها طبعها فتغلى وتفور بالأعمال الصالحة.

لأن داود لما رأى نفسه قد ثقلت وبردت قال هكذا: "طرحتُ نفسى أمامك، وذكرتُ الأيام السالفة وتلوتُ في أعمال يديك" (مز١٤٢:٥)؛ وأيضا: "بسطتُ إليك يدىَّ، وصارت نفسى كالأرض العطشانة أمامك" (مز١٠٧:٢). فافهموا، يا أحبائي، ما فعله داود؛ أنه لما ثقل قلبه اجتهد إلى أن ألهبت الحرارة قلبه مرة أخرى حتى قال: "قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد"

(مز١٠٧: ٢)،وقَبِل الخفَّة في خدمته الليلية والنهارية.

فاعملوا أنتم أيضا هكذا، لكى ما تكونوا مجتمعين باستعداد قلب بضياء اللاهوتية وحرارتها، ولكى يكشف الله لكم الأسرار العظيمة التي لا توصف. وأنا أسأله أن يحفظ أجسادكم وأنفسكم وأرواحكم صحيحة إلى أن ينقلكم إلى مسكن رحمته، الموضع الذى وصل إليه آباؤنا القديسون.

كونوا فرحين بالرب الذى له المجد إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الحادية عشرة

لأولاده الرهبان

على الإفراز. يحثُّهم على اقتنائه لأنه هو الكمال

١ – اعلموا، يا أولادي المباركين، أنني أكتب إليكم كأولاد أحباء مستحقين البركة وميراث الملكوت.

فيجب عليكم، إذ قد صرتم هكذا، أن تذكروا (في صلواتكم) ليلاً ونهاراً، الذين يريدون أن يصيروا أولاد الملكوت، لكي يحفظهم الله من كل الشرور، ولينظروا (بإفراز) كل الأشياء، ويتأملوا الصالحات وينالوا الخيرات المعدَّة للأبرار.

إنكم، يا أولادي، قد صرتم لي أحباء وأبناء الملكوت؛ ولهذا فأنا أطلب عنكم بلا فتور لكيما يعطيكم الله أن تنظروا وتفرزوا جميع الأشياء حتى تميِّزوا بين الخير والشر. لأن بولس الرسول كتب يقول: "إن الطعام القوى هو للكاملين الذين درَّبوا حواسهم وعزائمهم بكثرة الفحص عن الخير والشر" (عب٥: ١٤)، وصاروا بنين للملكوت، وأُحصوا في البنوة الإلهية. ولأجل هذا يعطيهم الله هذا النظر والإفراز في سائر أعمالهم لكيلا يُضلُّهم البشر ولا الشياطين. واعلموا أن العدو يُضاد المؤمنين بحجة الخير ويُضلُّ كثيرين لكونهم لم يُعطُوا هذا النظر وهذا الإفراز.

والطوباني بولس، لما عرف هذا الغنى الذى يصير مع المؤمنين والذى ليس لعظم قدره حدّ، كتب لأهل أفسس، الذين صاروا له أولاداً وأبناء للملكوت لأجل عظم محبته فيهم، يقول لهم: "أيها المؤمنون الأطهار الذين بأفسس ... إني منذ سمعت بإيمانكم بربنا يسوع المسيح ومودَّتكم لجميع القديسين، لستُ أفتر عن الشكر عنكم والذكر لكم في صلواتي، كي يعطيكم إله ربنا يسوع المسيح أبو المجد، روح الحكمة والإعلان لتستنير عيون قلوبكم فتعلمون ما هو رجاء دعوته وما هو غنى مجد ميراثه في القديسين" (أف١:١٥،١٨-١٨). وقال أيضاً: "إنني أجثو على ركبتي للآب الذى منه تُسمَّى كل أُبوَّة في السماء وعلى الأرض، أن يعطيكم كغنى مجده حتى يصحّ يقينكم (أي إيمانكم) ويَقوَى بما يؤيدكم فيه بروحه، ليحل المسيح في إنسانكم الباطن بالإيمان، وفى قلوبكم بالمودَّة، إذ يكون أصلكم وأساسكم وثيقا، كي تستطيعوا أن تدركوا مع جميع الأطهار ما هو العرض والطول والارتفاع والعمق" (أف٣:١٤-١٨).

فانظروا - يا أولادي الأحباء - إلى هذا الرسول العظيم؛ كيف أنه لما عرف عِظَم هذا الغنى الذى لم يعرفه بعد أولئك الذين أُحصوا له أولاداً بدخولهم في الإيمان، طلب عنهم أن ينالوا معرفة عِظَم هذا الغنى الذى قد عرفه، وهو النظر الحقيقي الذى هو الإفراز، الذى ليس شيء أعظم منه في الإيمان المسيحي. وقد طلب ذلك لأجل عظم محبته لهم، وعِلمِه أنهم إذا نالوه لا يكون لهم بعد تعب في أي شيء، ولا يجزعون بعد من خوف، بل يكون

فرح ربنا معزيّاً لهم ليلاً ونهاراً، وتصير أعماله حلوة عندهم على الدوام في سائر الأوقات، ويعطيهم الله لأجل ذلك إعلانات الأسرار العظيمة التي للدهر الآتي، هذه التي لا نستطيع أن نصفها باللسان اللحمي.

٢ – فالآن، أيها الأحباء بالرب، الذين قد صرتم لي أولاداً، اطلبوا ليلاً ونهاراً، بدموع غزيرة، هذا النظر والإفراز؛ لكى يكون لكم الخير الدائم من عند إلهنا، ويزداد بهاؤكم في كل شيء ويعطيكم الله أشياء أخرى كثيرة ما عرفتموها قط.

وأنا، أبوكم، اطلب أيضا لأجلكم أن تبلغوا هذا المقدار الذى لنا. لأن كثيرين من الرهبان والعذارى الذين في المجامع لم يبلغوا إلى هذا المقدار. وإذا أردتم، يا أولادي، أن تبلغوا إلى هذا المقدار، الذى هو الكمال، فابتعدوا من كل الذين يحملون هذا الاسم الذى للرهبنة والبتولية، ولا يوجد فيهم هذا النظر والإفراز. لأنكم إن خالطتموهم، لا يدعونكم تتقدمون، بل يطفئون الحرارة منكم، لأن ليس فيهم حرارة بل برودة، وهم يسيرون بحسب إرادتهم. فإذا أتوا إليكم وتكلموا معكم بكلام هذا الدهر، وبما يوافق إرادتهم، فلا توافقوهم. لأنه مكتوب في الرسول بولس: "لا تطفئوا الروح، ولا تحتقروا النبوات" (١تس٥:١٩-٢٠). واعلموا، يا أولادي، أن الروح لا ينطفئ منا إلا بالكلام الباطل والمزاح وأعمال أخرى كثيرة لا يمكنني أن أكتبها واحدة فواحدة. فإذا ما نظرتم هؤلاء الناس، فلا تحتقروهم؛ لكن اصنعوا معهم الخير ولا تخالطوهم لئلا يجذبوكم إلى خلف. وسلام ربنا يحل على أرواحكم الوديعة،

يا أولادي الأحباء. الذى له المجد والإكرام من كل الخلائق إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الثانية عشرة

لأولاده الرهبان

في المحبة. وأنه يشتهى أن يراهم ويتعزُّوا جميعا بما يعرِّفه لهم شفاهاً

١ – اعلموا، يا أحبائي بالرب، أن محبة الرب هي على الدوام تتعاهد ضمائرنا وتساعد كل الذين أعدُّوا أفكار قلوبهم لتذكار "كنيسة الأطهار" (مز١٤٩: ١) ليلاً ونهاراً، وهى غير منعطفة نحو ما يخالف ذلك. وكما أن هؤلاء يذكرهم روح الله دائماً ويطلب عنهم بزيادة، لأنهم صاروا له أولاداً إذ أنه ولدهم بالله، هكذا أنتم الذين أُحصيتم لي بنين وجعلتُكم أبناء لله، لا أفتر عن تذكاري لكم في صلواتي ليلاً ونهاراً؛ لكي يكون إيمانكم ثابتاً، وتزدادوا في عمل الفضائل، ويُثبِّت ربنا نظركم وتمييزكم، ويعطيكم قوة عظيمة أكثر مما هو لكم.

وهذه هي طلبتي دائماً لأجلكم، إذ قد ولدْتُكم في المسيح، وصرتم لي بنين. وهكذا تيموثاوس، لما ولده بولس الرسول بالله وصار له ابناً، كتب له هكذا قائلاً: "إني أذكرك في صلواتي ليلاً ونهاراً، وأشتاق إلى رؤيتك؛ وأذكر دموعك لكى أمتلئ سرورا بما أتذكَّره من إيمانك الصحيح" (٢تى١: ٣–٥)

٢ – فانظروا، يا أولادي الأحباء، هذا الرسول، كيف صار له تيموثاوس ابناً وولدَه بالله، فكان اهتمامه من أجله بهذه الثلاثة أشياء: أن يذكره ليلاً ونهاراً، ويصلّي من أجله، ويشتهي أن يراه. هكذا أنا أيضا، يا أحبائي، الذين من أجل استقامة قلوبكم يحبكم قلبي، أفعل كما فعل بولس لتيموثاوس هذه الثلاثة أشياء بعينها: أن أذكركم، وأصلّي من أجلكم، وأشتهي أن أراكم.

وأنا أعمل هذا لتذكّري أتعابكم وتنهدكم وحزن قلوبكم وكثرة صبركم وهدوئكم؛ لأنكم تعملون هذه الأشياء بقلب قوى وبحكمة. لأن كل من يعمل أعمال الله فبروح الحكمة يعملها. فهكذا قال بولس الرسول: "إن الله لم يعطنا روح الخوف، بل روح الحكمة وقوة المحبة" (٢تى١:٧). وربنا يطلب من كل منا أن تكون أعماله بهذه الحكمة .

والآن، يا أولادي الأحباء، أنا أطلب من الرب أن يسهّل طريقي لآتى إليكم مرة أخرى. لأنى أعلم أنكم تشتهون أن تروني، كما أنا بالأكثر أشتهى أن أراكم. واعلموا هذا ، أنه ليس على الأرض شيء يعادل محبة الآباء للأولاد والأولاد للآباء؛ فهم في كل وقت يشتهون أن ينظروا بعضهم بعضاً. فإذا كان الآباء والأبناء الجسدانيون لهم هذه المحبة، فكم بالأحرى الآباء الروحانيون وأولادهم بالله!. فإنهم يشتهون بخوف الله ومحبته أن ينظروا بعضهم بعضاً. ذلك لأن الآباء بالله أعظم من الآباء بالجسد، كما أن حب الآباء للأبناء أعظم من حب الأبناء للآباء. لذلك قال الرسول الإلهي بولس: "إن

كان لكم في محبة يسيرة، فإن محبتي لكم عظيمة" (٢كو١٢:١٥). فهكذا، يا أولادي الأحباء، أنا أبوكم ومحبتي لكم أكثر من محبتكم لي. وبما أنكم قد صرتم لي بنين، فلنصلِّ جميعنا معاً لكى يعطينا ربنا أن يرى بعضنا بعضاً مرة أخرى. فأنا أعلم أن باجتماعي معكم يحصل لكم سرور وفرح، كما قال بولس الرسول: "إني تائق جداً أن أراكم وأمنحكم عطية الروح ليصحَّ بها يقينكم ونتعزَّى جميعا بإيماني وإيمانكم" (رو١٢،١:١١). لأننا إذا اجتمعنا، أعلمتكم بأشياء أخرى لا يمكنني أن أكتبها إليكم في الرسائل، ليكون ذلك لكم خلاصاً بالرب يسوع المسيح الذى له المجد والوقار والتسبيح مع أبيه وروح قدسه إلى أبد الآبدين آمين.

الرسالة الثالثة عشرة

لأولاده الرهبان

يحثُّهم على اقتناء الفرح الذى يناله المجاهدون، وكيف سيدينون يوم الدين أهل جيلهم المتوانين.

١ – تعلمون، يا أحبائي بالرب، أن كل خليقة ناطقة، رجلاً كان أو امرأة، فآلة (أي خاصِّية أو حركة) المحبة كائنة فيهم وتتحرك لكلا الجهتين: لقبول الإلهيات أو الجسدانيات (قارن رو٨:٥). ولأجل أن اللاهوتية هي فيكم، فأنا أحبكم بكل قلبي وروحي، لاقتنائكم الله فيكم وقد صرتم عندي في محل عظيم.

وأنا دائماً أطلب من إلهى لأجلكم، أن تنمو في قلوبكم الإلهيات بمحبته، وأن يكشف لكم عِظم سرائره التي لا يمكنني أن أعبِّر عنها بلساني؛ لأنها في غاية الرفعة والعظمة، وليست مثل التي لهذا الدهر. وهى لا تُكشَف للأنفس غير الطاهرة، بل للذين طهَّروا قلوبهم من كل النجاسات ومن أعمال هذا الدهر الزائل. هؤلاء هم الذين أبغضوا العالم حتى نفوسهم، وحملوا الصليب، وتبعوا الرب في كل شيء، وعملوا بإرادته.

فهؤلاء حلَّت فيهم اللاهوتية، وأعطتهم حلاوة وفرحاً بالله. وهذا الفرح يُغْنِى النفوس ويجعلها تنمو بزيادة. وكما أن الأشجار إن لم تشرب من طبيعة الماء لا يمكنها أن تنمو؛ فهكذا النفس إذا لم تقبل الفرح السمائي لا يمكنها أن تنمو وتصعد إلى العلاء. أما النفوس التي قبلت الفرح السمائي فهي التي تستطيع أن تنمو إلى العلاء؛ لأنها قد حفظت ما قلناه سابقا، وانكشفت لها أسرار ملكوت السموات وهى في هذا الجسد؛ ووجدت الدالَّة أمام الله في كل شيء، وكمَّل لها جميع طلباتها.

٢ – والآن، يا أحبائي المكرمين، هذه هي طلبتي دائماً: أن تبلغوا إلى هذا الحد، وتعرفوا وتعلموا غنى ملكوت الله الذى لا يقاس ولا نهاية له. وأنا أعلم أن هذا الغِنَى لا تستحقه إلا أنفس قلائل من الرهبان والعذارى الذين في المجامع، لكونهم بلغوا إلى حد الكمال، وأُعدَّت لهم كراسي ليجلسوا عليها يوم الدينونة للحكم. وأنا عارف بقومٍ في جيلنا هذا قد بلغوا إلى هذا الحد من بنوة الله. ولم يخْلُ قط جيل من الأجيال ممن بلغوا إلى هذا الحد، ولا الأجيال الآتية أيضا تخلو من ذلك؛ وليس من الرجال فقط بل ومن النساء أيضاً. فإذا جلسوا على الكراسي، كما تقدم القول، فكل منهم يدين أهل جيله، لكونهم جاهدوا حتى غلبوا وكملوا؛ والذين كمُلوا هم الذين يدينون المسكونة.

وهذا هو ما أطلبه لأجلكم ليلاً ونهاراً، أن تبلغوا إلى هذا المقدار لتدينوا أهل جيلكم. والذى يدفعني إلى ذلك هو كثرة محبتي العظيمة لكم، التي لا أقدر أن أشرحها بوصفٍ، ولا أنتم أيضا. لأن الرسول بولس يقول للذين

أُحصوا له بنين: "إنني لست أريد أن أعطيكم الإنجيل (أي البشارة) فقط بل أنفسنا أيضا، لأنكم صرتم لنا أحباء في الرب" (١تس٢:٨). فهذا هو ما أحمله في قلبي لكم، يا أحبائي بالرب.

هذا وقد أرسلتُ لكم عوضاً عنى ابنى الحبيب إلى أن يسهِّل الله حضوري عندكم بالجسد، وأُضيف لكم فرحاً أكثر من فرحكم. لأن الرب إذا رأى الأب يحب بنيه، فإنه يكون هو بذاته فَرَحاً لجميعهم، ويعطيهم قوة عظيمة وسلاماً في موضع الوحدانية الذى هو الملكوت الأبدي، الذى لكم أن ترثوه بنعمة ربنا يسوع المسيح الذى له السبح والمجد والعز إلى الأبد آمين.

الرسالة الرابعة عشرة

لأولاده الرهبان
يحثُّهم على تكميل الطاعة
لتحل عليهم بركات آبائهم

١ – يا أحبائي في الرب، الذين أعددتم ذواتكم لملكوت السموات وطلبتم الله لكى يكون لكم كما هو لأبيكم[١]. لقد طلبتم أن تمضوا إلى الموضع الذى يمضى إليه أبوكم، والبركة التي تحل عليه تحل عليكم والمجد الذى يقبله تقبلونه، لأنكم قد صرتم له بنين ببنوَّة الحق والبركة والطاعة. لأن الأولاد الطائعين هم الذين يرثون غنى آبائهم، وبرَّهم وبركتهم. ولأن الطلبات (أي الصلوات) التي يقدمها الأبناء أمام الله تشبه طلبات آبائهم، فبها يرثون فضائلهم وبرَّهم وبركاتهم. هكذا كانت صلوات يعقوب شبيهة بصلوات آبائه في كل شيء، ولذلك حلَّت عليه كل بركات آبائه، وأُهِّل لنظر السلم الروحاني والملائكة صاعدة ونازلة عليه. فهو قبل أن ينال البركة من آبائه لم ينظر ولا ملاكاً واحداً. ولما نال بركتهم رأى الملائكة وبُورك منهم.

هكذا الأبناء الحقيقيون علموا أنهم لا يستطيعون أن يروا شيئاً من

---

(١) ق. أنطونيوس يقصد ذاته.

القوات، إن لم ينالوا البركة من آبائهم. ولهذا بذلوا الاجتهاد في الطاعة وطلب البركة من آبائهم، لكى ببركاتهم يستحقون أن ينظروا الأجناد والملائكة، وبنظرهم يثبتون بلا اضطراب في جميع الأشياء. وهكذا الطوباني بولس لما نظر ذلك ثبت وتقوَّى وصرخ قائلاً: "ماذا سيفصلني عن حب المسيح؟ أَشدَّة أم حبس أم طرد أم جوع أم عُرى أم مقاومة أم سيف؟ .....لا الموت ولا الحياة ولا الملائكة ولا الرؤساء ولا السلاطين، ولا هذه الأشياء القائمة ولا المزمعة ولا القوات ولا العلو ولا العمق ولا الخليقة الأخرى السفلية تقدر أن تفصلني عن حب الله بربنا يسوع المسيح" (رو٨،٣٨:٣٥-٣٩). فانظروا الآن، يا أحبائي، أن كل الذين اجتهدوا حتى صاروا بغير اضطراب، لا يهمهم شيء البتة. وهكذا أريد أن تكونوا، ولى اشتياق أن أراكم لما لكم من كثرة المحبة لله.

٢ – وأطلب إليه، الليل والنهار، أن يحلَّ ببركات آبائنا عليكم، وبركتي أنا المسكين أيضاً، لكى تسكن فيكم القوات العقلية وتجوزوا بقية أيام حياتكم بكل سرور. لأن كل من لم يبلغ إلى هذا المقدار فإنه لا يجد سرور السموات.

واعلموا، يا أولادي الأحباء، أن كل الوصايا ليست ثقيلة ولا متعبة؛ بل نور حقيقي وسرور أبدى لمن كمَّل الطاعة.

وأنا أقول لكم إنني لم أفتر عن الطلب لأجلكم، لكى تكونوا معي حيث أكون أنا؛ لأنكم صرتم لي أبناء وقد سمعتم لي في كل شيء. وربنا يسوع المسيح ، عندما رأى تلاميذه يسمعون منه، طلب من أبيه قائلاً: "يا أبتِ، الموضع الذى أكون أنا فيه أريد أن يكون هؤلاء معي، لأنهم سمعوا كلامي

وأنا أسلِّم ذاتي عنهم. أيها الآب أنت في وأنا فيك، وهؤلاء فينا؛ ليكونوا في الوحدانية كما نحن" (يو٢٢،١٩،٧،١٧:٢٤-٢٣). فانظروا، يا أولادي الأحباء، إلى طلبة ربنا لأجل تلاميذه أن يكونوا حيث يكون هو، وطلبته أيضاً من الآب أن يحفظهم من الشرير إلى أن يبلغوا إلى مواضع الراحة، لأنهم صاروا له أحباء. واعلموا أن هذه هي طلبتي أيضاً إلى الله من أجلكم؛ أن يحرسكم من الشرير إلى أن تبلغوا إلى مواضع الراحة، وأن يعطيكم بركة آبائنا. لأن هذه البركات إذا حلَّت عليكم تزيدكم نعمة عظيمة.

لأن يعقوب لما مضى إلى ما بين النهرين، بعد قبوله البركة، نظر الملائكة وباركه الله لأجل طاعته لآبائه ونوال البركة منهم. فلما نظر الملائكة وجهاً لوجه، تمسَّك بأحدهم حتى قَبِل منه البركة بزيادة، وبها بارك بنيه. وهكذا، أنا المسكين، اطلب من إلهي الذي أخدمه من صغرى إلى الآن، أن يباركم ويزيدكم من البركة، لكي ما تصيروا بأرواحكم وأجسادكم مثل أبينا يعقوب الممتلئ بركة. واعلموا أن أبانا يعقوب، لما كان بين النهرين، ذكر أبويه وأخذ في العودة إلى أرضه. وفزع من أخيه فقدَّم له قبل أن يلقاه أربع تقدمات. وليس لأن أخاه كان محتاجاً لذلك إذ أنه كان غنياً جداً؛ لكنه صنع هذا لكي يحلَّ العداوة التي بينهما وتحلَّ عليه بركة آبائه. لأنه كان يعلم قوة بركة آبائه، كما هو مكتوب: "إن بركة الآباء تحلُّ على بيت الأولاد" (بن سيراخ٣:٩).

فمن الآن، يا أحبائي بالرب، أنه لفرح لي أن تذكروا مسكنتي، وتذكروا

أيضاً آباءكم الجسدانيين، لكى تحل عليكم بركاتهم في كل حين. اعلموا هذا !.. وسلام الرب يحفظ قلوبكم ونعمته تعضدكم. له السبح من جميع الناطقين إلى الأبد آمين.

الرسالة الخامسة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرّفهم أن الصوم وبقية الفضائل هي ثمار حيّة وروحية وأن المجد الباطل وراحة الجسد تُفسدها وتجعلها مائتة ورديئة. ويحثُّهم على الهروب من هذه واستعمال تلك.

١ – قبل كل شيء، يا أولادي الأحباء المباركين، أنا أسأل الله أن يعطيكم غير المنظورات، لا هذه المنظورات: "لأن هذه المنظورات وقتية فانية، وتلك غير المنظورة فأبدية باقية" (٢كو٤: ١٨). وطلبتي هذه عنكم هي لأني نظرتُ ثماركم حيَّة روحية، وقد صرتم ميراثاً ونصيباً لله الكلمة؛ ولذلك فرح قلبي جداً. لأني أعلم أن الله يفرح بمن تكون ثمارهم حيَّة روحية ويجعلهم ميراثاً له ونصيباً.

إن كل الذين ثمارهم ميتة لا يُعدُّون نصيباً لله، بل هو يلومهم بالأكثر كما قال للنبي أن يعرّفهم ذلك بقوله له: "اصرخْ بقوة ولا تُشفق، وارفعْ صوتك مثل البوق، وعرِّف شعبي بخطاياهم، وبيت يعقوب بآثامهم؛ لأنهم ليسوا بعيدين وسيطلبونني في الأيام الأخيرة. وهم بغضبٍ قالوا: لماذا صُمنا ولم تعلم وواضعنا

نفوسنا (أي اتضعنا) ولم تنظر؟" (اش٥٨:١-٣). فأجاب وقال للذين قالوا هذا: "لأنكم في أيام صومكم توجدون صانعي إرادة قلوبكم الشريرة، والذين هم تحت سلطانكم تتقسَّون عليهم وتقرعون (أي تضربون على) رؤوسهم؛ وصومكم هو للقضاء والحروب. وإذ أنتم هكذا فأنا لا أقبل صومكم. لأن هذا الصوم ليس هو الذى اخترته، يقول الرب". وقال أيضا: "لو لويتَ عنقك مثل الحلقة، ولبستَ مِسحا وبسطتَ (أي افترشتَ) رماداً فليس هذا الصوم صوماً مقبولاً" (إش٥٨:٣-٥).

فاعلموا، يا أولادي الأحباء، أن هذه كلها ثمار مائتة، وأن كل الذين يصنعونها لا يسمع الله لهم عند تضرعهم، بل يلومهم بالأكثر.

والإنجيل المقدس قد بيَّن لنا هذا أيضاً بقوله: "إذا كان النور الذى فيك ظلاماً، فالظلام كم يكون!" (مت٦:٢٣). والنبي أيضا في موضع آخر يقول: "إن جميع برِّكم عندي كخرقة الحائض" (إش٦٤:٥).

٢ – فإذ قد عرفتم، يا أولادي الأحباء، هذه الثمار المائتة، فلا تهتموا بشيء منها، لئلا تفسد أثماركم الحية الروحية. وأنا أتضرع إلى الله من أجلكم أن يحفظ ثماركم من الفساد، ويجعلها تنمو وتزيد نعمتكم وفرحكم ومحبتكم للإخوة وللمساكين؛ وأن يكمل فضائلكم الحسنة وثماركم الحقيقية إلى أن تخرجوا من هذا المسكن وتجتمعوا بعضكم ببعض في ذلك الموضع الذى ليس فيه مرض ولا ضيق ولا شرٌّ، بل فرح وسرور ومجد وأكاليل وتيجان وثمار طاهرة وكنيسة أطهار، والميراث الذى لا يزول، وسائر الخيرات "التي لم ترها

عين ولم تسمع بها أذن ولم تخطر على قلب بشر" (١كو٢:٩)

٣ – وأريدكم، يا أولادي الأحباء المباركين، أن تعضدوا طلبتي هذه ومحبتي العظيمة لكم، وذلك بمداومتكم على أعمال الرب بقلوب ثابتة.

وأنا أطلب إليه أيضا أن يحفظكم في هذا الزمن السوء، وأن تكونوا معافين بالجسد والنفس والروح، وأن يعطيكم معرفة في كل الأمور لكى تخلصوا من طغيان هذا الدهر، ويكون لكم سلام وفرح وخلاص بالرب من هذه الثمار المائتة الرديئة التي أصلها جميعها المجد الباطل وراحة الجسد.

وسلام ربنا يسوع المسيح يحل على جميعكم، هذا الذى ينبغي له المجد والعز والإكرام والتسبيح والوقار مع أبيه وروح قدسه، من الآن وإلى كل أوان وإلى الأبد آمين.

الرسالة السادسة عشرة

لأولاده الرهبان

عن المسكنة والاتضاع، بشهادات من العتيقة والحديثة

ويؤكد عليهم أن يقتنوا ذلك ليفوزوا بالملكوت.

١ – لنتكلم، يا أولادي الأحباء، بيسير من أخبار الآباء القديسين الأطهار، الذين رفعهم الله لأجل تواضعهم ومسكنتهم الأولى، وأعطاهم المجد والغنى ههنا ، لكونهم تواضعوا من كل قلوبهم قبل تعظيم الله لهم.

ونخبركم أولاً عن أب الآباء إبراهيم، أن الله رفعه من المسكنة إلى الغنى ومن الإهانة إلى المجد؛ وكل هذا كان جسدانياً. ولم ينس إبراهيم مسكنته الأولى، بل عاش ساكناً في مظال، وكذلك إسحق ويعقوب.

وكان لإبراهيم الاستطاعة أن يبنى لنفسه القصور في كل مكان؛ إذ كان قد صار له من الغنى الكثير من الذهب والفضة والعبيد والإماء والمواشي. ولكنه إذ كان يعلم أن قلبه إذا داوم تذكار المسكنة، فلن ينسى كثرة الخيرات التي صنعها الله معه، فلم يفعل ذلك (أي لم يسكن القصور) بل سكن المظالّ. ولأجل ذلك ظهر الله له ومعه ملاكان وهو جالس عند شجرة ممرا. واهتم بربنا وملائكته فلم يأمر أحداً من عبيده أن يصنع ما اهتم هو بعمله،

لئلا ينسى النعمة التي أعطاها له بعد تواضعه ومسكنته؛ بل هو بنفسه، بشيخوخته الحسنة التي كانت تناهز المائة سنة، مضى إلى قطعانه، وأتى بعجل جيِّد وذبحه. وأمر سارة زوجته نفسها أن تعجن، ثلاثة أكيال سميذاً، وكان كل عبيدها وإمائها قياماً حولها. ولما قدم لهم إبراهيم ليأكلوا، كان واقفاً بين أياديهم كالمسكين الذى ليس له عبيد. ولأجل هذه المسكنة التي أظهرها أمام الرب، أظهر الرب له نفسه، وكمَّل له كل إرادته، وقال له في ذلك اليوم: "إنه في مثل هذا اليوم من العام المقبل سيكون لسارة ولد" (تك ١٨: ١٠). وكان كذلك ورزقا إسحق.

٢ – وإسحق هذا كان غنياً جداً ولكنه تمسكن بقلبه، حتى أن الفلسطينيين كانوا يظلمونه كواحد مسكين. أما هو فلم يكن ينتقم منهم (تك٢٦: ٢٣-٢٢)، فكان غناه يزداد أكثر منهم.

وهكذا يعقوب، لما أراد أن يذهب إلى بين النهرين، قبل نياحة أبيه إسحق وبعد أن أخذ بركته، ترك عنه كثرة الغنى وكان يمشى بمسكنة، وليس معه سوى عصاه وزادٌ لكفافه في الطريق؛ وكان إذا رقد يضع تحت رأسه حجراً. ولأجل هذا استغنى بالأكثر في بيت خاله لابان. ولما أراد أن يرجع إلى بيت أبيه، لم ينسَ المسكنة بسبب ما صار له من كثرة الغنى، لأنه كان دائماً يسير بالمسكنة. بل إنه أظهرها أمام الرب قائلاً: "إنني عبرتُ الأردن بعصاي، والآن صرتُ جيشين" (تك٣٢: ١٠). وانظروا أيضاً كيف أنه لم ينسَ المسكنة حتى وقت نياحته؛ فلما سجد على طرف عصاه، وكان أولاده

حوله، أوصاهم قائلاً: "لا تنسوا مسكنتكم الأولى، يا أولادي، بسبب ما صار لكم من هذا الغنى". وكانت عصاه بيده دائماً، في كل وقت، حتى لا يتكبَّر قلبه بكثرة غناه عندما ينظر إليها، ويذكر العبودية التي أكملها في بيت خاله لابان، لأنها كانت بيده عندما كان يرعى قطعان غنمه.

وهكذا يوسف لما ملك على مصر، لم ينسَ مذلَّته ولم يخزَ أن يُظهر ذلك لفرعون، بقوله لإخوته: "إذا تقصَّى منكم فرعون، فقولوا له: إن عبيدك رعاة غنم" (تك٤٦: ٣٣-٣٤). وقد فعل ذلك حتى لا يكون له فخر عند فرعون. فانظروا كيف أن مُلكه وغناه لم يُنسياه مذلته ومسكنته.

٣ – وهكذا موسى، كبير الأنبياء، لما صار ابناً لابنة فرعون ومُلِّك على خزائن مصر جميعها (عب١١: ٢٦) ذكر إخوته المولودين من إبراهيم الذى رفعه الله من تواضعه ومسكنته، فطلب حياتهم. وهرب من مصر وصار غريباً في أرض مديان أربعين سنة، وكان خبزه وماءه على كتفه وهو يرعى الغنم. فلما نظر الله إلى كثرة تواضعه، خاطبه قائلا: " ارجع إلى مصر وكن رئيساً على شعب الله" (خر٣: ١٠). فقال موسى للرب: "انظر لك آخر غيرى يصلح لهذا الأمر لأنى لا أصلح له" (خر٤: ١٠). فأغضب الرب بهذا القول؛ وقد كان قوله هذا بالطبع احتقاراً لذاته لأنه لم يتكبر قط. ولأجل كثرة تواضعه عظَّمه الله وأعطاه علامة في عصاه، لكى لا ينسى المسكنة بل يشكر لنعمتها. وأمره أن يصنع الآيات والعجائب بالعصا التي بيده. وكل الآيات والعجائب التي أجراها الرب معه كانت بواسطة عصاه، ليكون تذكار مسكنته معه ولا ينساه، بسبب تلك العصا التي

هي دائماً بيده، وبها شق البحر وبها صنع العجائب في مصر.

أما البحر، فقد كان ينبغي له عندما نظر عمود النور يتقدم أمام الشعب أن ينشق ويولى هارباً؛ ولكن ذلك لم يحدث. بل إن الله جعل موسى يشق البحر بعصاه التي بيده، لكى إذا تعظَّم قلب موسى لكون البحر خاف منه، ينظر إلى عصاه التي بيده ويتذكر أنها هي التي كان يرعى بها الغنم في البرية، وهو غريب ومسكين، فيتضع. فهذه العصا كانت لموسى للأمرين كليهما: الأول كان تعظيماً له لأجل كثرة العجائب التي كان يصنعها بها؛ والآخر كان تذكاراً لمسكنته حتى لا يتعظَّم بقلبه، بل يقول إن هذه القوة ليست لي بل هي للرب.

٤ – وقد قيل أيضا عن دبوره إنها لما نالت من الله تلك الرفعة العظيمة، التي هي تدبير الشعب كله، لم يرتفع قلبها؛ بل كانت تذكر طقس النساء وتعتبر أن الرجل هو رأسها (١كو١١:٣). ولهذا فهي عندما أرادت أن تحارب سيسرا الملك، أرسلت خلفه باراق وأعطته السلطة لكى يمضى ويحارب سيسرا. أما باراق البار، فلم تضلُّه هذه الكرامة العظيمة ولا نسى تدابير الله، بل قال لها: "إن كنتِ تنطلقين معي فأنا أنطلق" (قض٤:٨) لأنه كان يعلم أن الله معها وقد ولاَّها التدبير، حتى أن دبوره قالت له: "إنني إذا خرجتُ معك لا تكون لك كرامة؛ بل يُقال إن سيسرا سُلِّم بيد امرأة" (قض٤:٩)

فانظروا، يا أولادي الأحباء، إلى كرامة كل منهما. فقد كان لدبوره أن تقول : إن الرب أعطاني هذه الكرامة وإني لا أعطيها لآخر؛ ولكنها ذكرت طقس

النساء لسبب اتضاع قلبها. وكان أيضا لباراق ، لما تولَّى الأمر من دبوره، أن يذهب إلى الحرب وحده لكى يفتخر ويقول: إني أنا غلبتُ سيسرا؛ ولكنه بالأحرى اتضع حتى تأتيه المعونة من الرب.

وهكذا جدعون أيضا، لما قال له ملاك الرب: "إنني مُرسلك إلى محاربة ملك مديان" (قض٦:١٤)، لم يتكبر قلبه، بل ذكر مسكنته ولام نفسه بأنواع كثيرة ليتخلص من الكبرياء. فقال أولاً: "يا رب، كن معى بقوتك حتى يخلص إسرائيل، لأنى أنا وهذه الربوات مذلولون. وأنا أصغر مَن في بيت أبى (وعشيرتى هي الذُلَّى) في سبط منسَّى" (قض٦:١٥) فقال له الملاك: "اذهب وأنا أكون معك" (قض٦:١٦). ولكن تواضع قلبه لم يتركه بغير اهتمام، فطلب من الملاك علامات، لأنه كان عند نفسه غير مستحق لهذا المقدار العظيم، ولهذا قوى على مديان بمعونة الرب. وكان دائماً يذكر مسكنته الأولى هارباً من العظمة. ولما طلب منه الشعب أن يكون رئيساً عليهم، أجابهم باتضاع قلب: "إنني لا أكون رئيساً عليكم، ولا ابنى أيضا، بل الرب هو رئيسكم" (قض٨:٢٣). وهكذا هرب من الرئاسة، ولم تضله الكرامة في شيء.

٥ – وهكذا حنَّه أم صموئيل النبي، كانت تصنع له جبَّة صغيرة (١صم٢:٩) في كل سنة، مما يخصُّها. ومعلوم أن هيكل الرب لم يكن محتاجاً حتى تأتى أم النبي بملابسه من عندها. لكن أمّه فعلت ذلك لأنه دخل الهيكل صغيراً، لئلا يقول: إني ملاك أو أحد القوات، وقد رأيتُ إعلانات في الهيكل.

وكانت تفعل ذلك كل سنة حتى يعرف ويتحقق ابن من هو، ويتذكر تواضعه وجنسه. ولأجل هذا كان ينمو بزيادة مُرضيا لله. وحنّه أمُّه أيضاً كانت متضعة وديعة.

وكما أن داود النبي كان متضعاً وديعاً، فلنتخذ نحن أيضاً، يا أولادي الأحباء، الوداعة والاتضاع مثل هؤلاء. لأن داود قال: "أُذكر داود وكل دعته" (مز١٣٢: ١). وعندما كان يرعى غنم أبيه، اختاره الله ملكاً مكرَّماً أكثر من جميع بيت أبيه (١صم١٦: ٦-١٣). ولما مضى ليحارب جليات، اتخذ ثلاثة حجارة من الوادي وخبَّأها في جرابه. وأخذ أيضا عصاه التي كان يرعى بها الغنم، وتقدم نحو جليات الجبَّار، وحاربه وغلبه بقوة الرب. وأُحضر أمام الملك شاول وصار مكرَّماً منه. لكنه لم يترك عنه – لأجل كرامة قصر الملك – لا عصاه ولا مخلاته، بل احتفظ بهما معه ليكون قلبه دائما متضعاً، ويكون أيضا مثالاً لنا لنتعلم نحن.

كما أنه لما دُهن وصار ملكاً قال: "إنني لم أنسَ مسكنتي وتواضعي ولم أرتفع بقلبي"، وقال من أجل ذلك صراحة: "يا رب لم يتعظَّم قلبي ولم تستعلِ عيناي، ولم أسلك في عظائم ولا عجائب أكثر مني، وإن كنتُ لم أتضع لكن رفعتُ صوتي مثل الفطيم من لبن أمه، مثل المجازة على نفسي" (مز٢، ١٣١: ١). وهذه المزامير لم يقلها داود إلا وهو ملك، ولم ينسَ مسكنته الأولى بل قال: "صغيراً كنت في إخوتي وشاباً في بيت أبي، كنت أرعى غنم أبي" (مز١٥١: ١). وهذه الأقوال قالها لكي يعرفها جميع العالم

ويتعلموا الاتضاع والمسكنة.

وهكذا أيضا إيليا النبي، لما صنع العجائب الكثيرة، لم يترك عنه مئزرته، ولا عند صعوده إلى الفردوس، لئلا يتعظم قلبه لكثرة ما كان يصنع من الآيات، بل بعد صعوده طرحها على تلميذه أليشع. وكان أيضا متمنطقا بمنطقة من جلد لتذكِّره أنه إنسان مسكين، وبتذكار تلك المنطقة لم ينسَ مسكنته الأولى.

٦ – وهكذا الآباء الرسل، لما ابتدأوا يتبعون ربنا يسوع المسيح كانوا يتذكرون مسكنتهم الأولى دائماً، حتى أن ربنا قال لبطرس رأس الرسل، في كفرناحوم، عندما طولب بدفع الجزية: "امضِ إلى البحر وألقِ صنَّارتك، وأول سمكة تطلع، افتح فاها فتجد إستاتيرا، فخُذْها وأعطِ عني وعنك" (مت١٧:٢٧). فانظروا، يا أولادي، كيف أن بطرس لم يترك عنه صنَّارته، لئلا ينسى تواضعه ومسكنته.

واعلموا أن ربنا أظهر لنا هذه الأمثلة التي تقدم ذكرها، لكي نتضع نحن في ذواتنا ولكي يفتضح الشيطان ويخزى وتنطفئ سهامه النارية المتوقدة (أف٦:١٦).

وليس هؤلاء المذكورون ومَن شابههم وحدهم هم الذين ذكروا مسكنتهم. بل وربنا يسوع المسيح نفسه دُعي ابن داود، وقال عن نفسه: "إن ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدِم" (مت٢٠:٢٨). وكان إذ قيل له: " أنت ابن الله" (مر٨:٣٠، لو٤:٤١)، كان ينتهر مَن يقول ذلك. وإذا

صنع العجائب والأشفية، كان يأمرهم قائلا: "لا تُعلِموا أحداً" (مر١: ٤٤)

وكان هذا تواضعاً منه لأجلنا. ولم يكن تَرْكه الافتخار خوفا منه؛ كلاّ، لأنه قادر أن يُظهر قوة لاهوته في أي وقت أراد، بل إن ذلك كان منه ليعلِّمنا أن نحفظ مسكنتنا وضعفنا، لكى ننظر نحن الرب فنتواضع. لأنه ظاهر أن لا أحد يمكنه أن يتضع بحقيقة قلبه، إلا مَن قد نظرت نفسه الرب.

٧ – واعلموا، يا أولادي الأحباء، أن كثيرين يسعون بالاتضاع وهم ليسوا كذلك بحقيقة قلوبهم. فهُمْ بظاهرهم متضعون أمام الناس، وهم لم ينظروا كرامة الله. وهذا (الاتضاع الداخلي) لا يناله أحد بكثرة الذهب والفضة والنحاس، ولا بالقرب من الملك الأرضي ولا من عساكره وجنوده. بل إنه مذكور عن الآباء الأطهار القديسين، أنهم إذا جاهدوا ونظروا الرب فإنهم يتواضعون بالأكثر. لأننا سمعنا المكتوب عن أيوب أنه قال للرب: "أنت تعلم، يا رب، إنى لستُ إنساناً خاطئاً، ومَن هو الذى يخلص من يديك؟ (أى١٠: ٧) ليت بيننا واسطة للحكم... " وبقية القول. ثم أن أيوب لما رأى الرب في سحابة، وتكلم معه وانفتحت عينا قلبه ونظره، اعتبر نفسه تراباً ورماداً، وندم كونه تكلم مع الرب[١]، فقال: "إني أضع يدىَّ على فمي لأنى تكلمتُ مرة ولا أرجع إلى مثلها" (أى٤٠: ٤-٥).

وهكذا أيضا إشعياء النبي في الأول بكَّت الشعب على خطاياهم، ولكنه بعد أن رأى رب الصباؤوت، والساروفيم قيام حوله، أظهر تواضعه

(١) قارن أى٤٢: ٦

بالأكثر قائلا :"الويل لي لأني إنسان خاطئ ذو شفاه دنسة" (إش٦:٥).

وتلاميذ ربنا يسوع المسيح كانوا يأكلون ويشربون معه، ولم يخافوا عند مفاوضته لهم. لكنه لما تجلَّى على طور (أي جبل) طابور وتغيَّر شكله أمامهم، سقطوا على وجوههم، وعرفوا مسكنتهم وتواضعوا وعلموا أنهم لا شيء أمام مجد السيد المسيح. وموجود عندنا شهادات كثيرة كهذه، لأن سبب كثرة تواضع القديسين هو ما رأوه من مجد الله.

والعمل الذى صنعه ربنا مع تلاميذه يُقنِعنا بالأكثر لكى ما نعرف أن الاتضاع الحقيقي يكون للنفس، في هذا العالم، برؤيتها من بُعد للمجد المعدِّ المزمع أن تناله. لأن الإنجيل المقدس يقول: "إن ربنا لما علم أن الآب قد سلَّم في يديه كل شيء، قام عن العشاء وخلع ثيابه واشتدَّ بمنديل، وصبَّ ماء في لقَّان وبدأ يغسل أرجل تلاميذه ويمسحها بالمنديل المشتدِّ به (يو١٣:٣-٥)، لأن تلاميذه صاروا متضعين.

٨ – وهكذا، يا أحبائي في الرب، إذ قد نظرتم مجد الرب وعرفتم ميراثه الذى تقبلونه، اتركوا عنكم مجد البشر وداوموا في هذا الاتضاع العظيم. لا تنتقلوا من موضع إلى موضع لأجل مجد الناس فتنسوا مسكنتكم الأولى. لأني أرى قوماً هكذا هي صورتهم: يطلبون مجد الناس؛ فإذا حصلوا على ذلك في مجامعهم ينتقلون إلى مجامع أخرى لكى يحصلوا على مزيد من مجد الناس. فإذ قد عرفتم الآن هذا، يا أولادي، فلا تنتقلوا من مجمع إلى مجمع لأجل مجد الناس، بل كونوا عند ذواتكم كالأطفال، وتشبهوا بتلميذيّ يوحنا المعمدان، لأنهما لم يتركاه بقصد

الافتخار بغيره، بل لما علما أن الرب يسوع أعظم من يوحنا، بشهادة يوحنا نفسه عنه، تبعاه لكى يصيرا من الأطفال الجدد(٢). فاصنعوا أنتم هكذا في كل حين عندما تذهبون إلى من هو أكبر منكم، ليتمَّ فيكم المكتوب: "ليتجدد شبابك مثل النسر" (مز١٠٢:٥).

٩ – وقولوا إننا خطاة وابكوا على أرواحكم لأجل ما قد صنعتموه بقلّة المعرفة. وبهذا تكون بالحقيقة إرادة الله كائنة معكم وعاملة فيكم، لأنه صالح ويغفر خطايا كل من يرجع إليه من البشر ولا يذكرها بعد؛ بل هو يريد أن يذكروا هم خطاياهم السابقة لئلا ينسوها فيصيروا مطالَبين بما قد غُفر لهم من الخطايا. لأنه هكذا جرى لذلك العبد الذى ترك له سيده ما كان عليه من الوزنات، فلما نسى ذلك وتصرف بجهل مع رفيقه في العبودية، طلب منه سيده كل ما كان له عليه، أي ما كان قد تركه له، لأنه لم يرحم رفيقه في العبودية فيترك له المائة دينار، التي هي مقدار يسير بالنسبة لِما تُرك له (مت١٨:٢٤-٣٤).

وموسى أيضاً أوصى شعبه في البرية أن لا ينسوا خطاياهم الأولى، بقوله لهم: "إذا ما دخلتم الأرض التي ترثونها، فاحترسوا إذا استغنيتم من أن تأكلوا وتشربوا وتبطروا؛ لكن اذكروا العبودية التي كانت لكم في مصر(٣)، وما أغضبتم الرب به أيضا في البرية (تث٩:٧)؛ ويكون هذا التذكار لكم طول

(٢) المقصود هو ما جاء في يو١:٣٥-٣:٣، ٤٠-٨.
(٣)قارن تث٨:١١-١٤

أيام حياتكم (تث٤:٩).

وهذا تعليم لنا، يا أولادي الأحباء، إذا ما صرنا عبيداً زماناً بمصر، التي هي الخطيئة التي استُعبِدنا لها بإرادتنا. فلنجاهد، إذاً، أن ندخل أرض الميعاد؛ وإذا دخلنا فلا ننسى عبوديتنا، بل نذكرها دائماً، لئلا نأكل ونشبع ونبطر. وليس موسى وحده هو الذى يعلِّمنا ذلك، بل وسائر الأنبياء أيضاً هكذا يعلموننا أن لا ننسى خطايانا التي غفرها الله لنا ونسيها هو. بل نكون نحن لها ذاكرين كل حين، لكى ما نكون على الدوام متضعين أمام الرب، مثل قوم ماثلين أمام من له عليهم دين.

وانظروا إلى داود النبي أيضاً، إذ أنه لما أخطأ مع امرأة أوريَّا وبكَّته ناثان النبي لأجلها ولأجل ما صنعه بزوجها أيضاً؛ فعندما سمع التبكيت ندم وتواضع لوقته. ولهذا قال له ناثان: "إن الله قد غفر لك خطاياك" (٢صم١٢:١٣).

لكن داود لما حظى بالصفح عن خطاياه لم ينسها ولا ترك تذكارها عنه، بل كتبها في المزمور الخمسين، وصار ذلك تذكاراً في جميع الأجيال من جيل إلى جيل. ولما حظى بالصفح قال: "إني أعلِّم المخالفين طرقك، وإليك يرجع المنافقون" (مز٥٠:١٥). وهذا كله قاله داود ليتعلم منه كافة الخطاة ويتوبوا مثله، ولا ينسوا خطاياهم التي تُترك لهم، بل يكونوا لها ذاكرين في كل وقت.

وقد قال الرب أيضاً في سفر إشعياء النبي: "إني أمحو خطاياك ولا أذكرها، أما أنت فاذكرها أولاً لتتزكَّى" (إش٤٣:٢٥-٢٦). ولهذا

يجب على الخاطئ ، إذا ترك له الله خطاياه ألا ينساها هو بل يذكرها لكى يتزكَّى.

وقال الرب أيضا في إرميا النبي: "ارجعوا إلىَّ يا جميع بيت إسرائيل فلا آتى بتبكيتي عليكم، لأنى رحوم يقول الرب، ولا أغضب عليكم إلى الأبد. ولكن اعرف أنت ظلمك وأنك قد صرتَ جاهلاً بذاتك ومنافقاً على إلهك" (إر٣:١٢-١٣). هكذا نحن، يا أولادي الأحباء، يجب علينا إذا ما غفر لنا ربنا خطايانا ألا نغفرها نحن لذواتنا، بل نذكرها دائماً بتجديد التوبة.

ولهذا فإن يوحنا المعمدان لما كان يعمِّد الشعب للغفران، أمرهم قائلاً: "لا تكونوا بغير اهتمام بسبب غفران خطاياكم، بل اصنعوا ثماراً تليق بالتوبة؛ لأن ها هوذا الفأس موضوع على أصول الشجر، وكل شجرة لا تثمر ثمرة صالحة تُقطَع وتُلقَى في النار" (لو٣:٨-٩)

١٠ – فهذه كلها ذكَّرْتُكم بها، يا أحبائي، لأنني أذكر عظم فضيلتكم، ولئلا تتغافلوا فيخفى نوركم؛ بل أن تزدادوا ثماراً تليق بإسكيمكم الملائكي الذى أنتم لابسوه.

واعلموا هذا أيضاً، كيف أنه لما وجد ذلك الإنسان الكنز المخفى في الحقل، باع كل مقتنياته واشترى ذلك الحقل (مت١٣:٤٤). فأنتم الآن، يا أحبائي بالرب، قد ظهر مجدكم في (مجامع) الشركة جميعها. لكن لا تتفكروا في هذا لئلا تتعظموا؛ بل باتضاعكم ووداعتكم اذكروا مسكنتكم الأولى،

فتصيروا كمن لا يعلم ذلك. لأن موسى لما تمجَّد لم يعلم ببهاء وجهه لسبب تواضعه ووداعته؛ لكن الشعب عَلِم بذلك وصار في خوف عظيم من نظره إياه، فستر موسى وجهه (خر٣٤: ٢٩-٣٣).

هكذا أنتم، يا أحبائي، إذا ما تركتم عنكم خيرات هذا العالم الزائل الذى هو أرض الأموات، كما تركه مَن تقدَّم ذكرهم، فليكن رجاؤكم قوياً لكى تنالوا الخيرات من الرب في أرض الأحياء. فلا تطلبوا، يا أولادي المباركين، أن ترضوا الناس الذين في كورة الأموات؛ وإلا فلا تستطيعوا أن ترضوا الرب في كورة الأحياء.

وإذا نلتم الخلاص من خطاياكم، فلا تغفروا أنتم وحدكم لأنفسكم؛ لئلا تكون ثمار توبتكم عاجزة. بل تشبهوا بمعلم المسكونة، بولس الرسول، الذى بعد أن غفر له الرب بظهوره له وكلامه معه، لم يغفر هو لذاته وحده، ولم ينسَ عدم معرفته الأولى التي قد نسيها الرب برحمته؛ بل قال: "إني كنت مضطهِداً لكنيسة الله" (١كو١٥: ٩، غل١: ١٣)، وأمثال ذلك.

وربنا يسوع المسيح يحفظكم في طاعته إلى الأبد؛ الذى ينبغي له التقديس والتسبيح مع أبيه وروح قدسه الآن وكل أوان آمين.

✠

الرسالة السابعة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرفِّهم أن الاتضاع الحقيقي لا يحصل إلا بعد نظر الثاؤريًّا، التي هي نظر الله. ويبيِّن رتبها الثلاث: الأولى والوسطى والكمال، بشهادات من العتيقة والحديثة. ويحرِّضهم على تكميل ذلك بمعونة الرب.

١ – اِعلموا، يا أحبائي، أنه ليس الثابت في شيء واحد هو الناسك، ولا المتمسك بشيء واحد هو المضاد للفضيلة. فإن كان النسك هو فخر الفضيلة، فالكثير من الشرور يضادها. فالذي يريد أن يصير كاملا في النسك لا ينبغي أن يتعبد لشيء من الشر. لأن الذى يتعبد لشيء واحد من الشر هو بعيد عن حد الكمال. فالكمال هو كما قيل: "إنني تحررتُ من كل شيء لكى أربح الكثيرين" (١كو٩:١٩).

وهذا القول قاله بولس الرسول لأنه لم يجعل ذاته عبداً للشر، ولأنه لم يعد يعلِّمها ما كان قد تركه عنه. فلما انعتق من الشر وتحرر منه نهائياً، طلب من أجل فائدة الكثيرين الذين كانوا يريدون أن يتعبدوا للشر، حيث لم يكن

لهم استطاعة أن يتخلصوا من خطيئة شرورهم، لكونهم عاجزين عن قوة القائل في المزمور: "لنقطع أغلالهم ولنلقِ عنا نيرهم" (مز٢:٣). هكذا لما نظر الرسول بولس إلى الرب يسوع حصل على الكمال؛ وعندئذ صار معاضداً للذين ليس لهم قوة حتى يبلغوا الكمال ويمضوا إلى العلو.

ولقد أدرك ذلك بكثرة التواضع الذى صار له على مثال ربنا يسوع المسيح الذى جعل – بكثرة تواضعه – لاهوته مستتراً بناسوته؛ فكان يُنظَر إليه مثل إنسان بينما هو لم يكن إنساناً فقط بل إلهاً متأنِّساً؛ كالمكتوب: "والكلمة صار جسداً وحلَّ فينا" (يو١:١٤). والرسول بولس أيضاً، لما كان سائراً بالتواضع كالأوامر التي أمره بها ربنا، قال: "إنني صرتُ مع من لا ناموس له، كمن لا ناموس له. مع أنى لم أكن بلا ناموس، لأربح الذين لا ناموس لهم" (١كو٩:٢١). ولم يصر الرسول بهذا خارجاً عن كماله، كما لم يصر ربنا خارجاً عن لاهوته بتجسده الذى كان لا بد منه (من أجلنا)، كما قيل في الناموس وكما كُتب في الإنجيل أن " الكلمة صار جسداً وحلَّ فينا" (يو١:١٤).

وإذ كان الرسول كائناً في كماله، لأنه أولاً: قد انعتق من كل شر؛ وثانياً: إنه لم يتعبَّد لشيء من الشهوات لكونه صار ناسكاً؛ وأخيراً: لأنه تحرر بنظره للرب يسوع المسيح. وعندما رآه للوقت تبع أقواله بلا تأخير، وصار في غاية الكمال والاتضاع.

هكذا كل الذين يتمسكون بأقوال الرب يعرفون الحق، والحق يصيِّرهم

أحراراً؛ ويعتق نفوسهم من كل الشر، كما صار هكذا بولس الرسول، لأن مخلصنا صيَّره حرًّا. ومن أجل ذلك قال هو عن نفسه:" أَفَلَسْتُ أنا حرًّا ؟ ... أَوَلم أنظر الرب كما نظره أولئك (الرسل) الأولون ؟"(١كو٩: ١).

وكثيرون يقولون بجهالتهم: إننا رأينا الرب يسوع مثل الرسل. فهؤلاء، يا أولادي الأحباء، مخدوعون وضالُّون وليس لهم عيون ينظرون بها كما نظر الرسولُ الربَّ. لأن الرسول رأى الرب كما كان يراه الرسل الذين كانوا معه ومَن آمن به في ذلك الوقت حين كان يمشي والجموع حوله فيما كانوا ينظرونه كإنسان. أما نازفة الدم، إذ نظرَتْه بعينيّ قلبها، آمنت أنه إله ولمسَتْ طرف ثوبه وخلصت. أما هو فقال: "مَن لمسني ؟" ليس لأنه كان غير عارف، بل ليُشهِر إيمانها. فقال له بطرس: "إن الجمع يزحمك وتقول: مَن لمسني ؟" ولما أظهَرتْ تلك أنها شُفيتْ، قال لها الرب: "اذهبي بسلام؛ إيمانكِ خلَّصكِ" (لو٨: ٤٣-٤٨). أما عن بيلاطس وحنَّان وقيافا، فقد رأوا الرب كسائر الجموع الذين كانوا ينظرونه بعينيّ الجسد فقط. ولأنهم لم ينظروه بإيمان كما نظره الرسول، لذلك لم يستفيدوا شيئا من نظرهم له. أما الرسول فقد نظره بعينيّ قلبه وبإيمانه القوى، كما نظرته نازفة الدم التي لمسته بإيمان فشُفيتْ.

فكما ظهر ربنا يسوع المسيح لرسوله بولس بعد غلبته للأوجاع وصيَّره حرًّا، هكذا كل من انقطع من الأوجاع، فإنه ينظر الرب بعينيّ قلبه ويتحرر. لكنه لا يستطيع أن ينظر بعينيّ جسده ذلك النور البهيَّ جداً الذى نظره

بولس الرسول.

أما أولئك المخدوعون المتعظِّمون بنفوسهم، فشرُّهم عظيم. وهم لا يستطيعون أن يقبلوا خبز الحياة، لأن أعينهم غير نيِّرة. وهم غير مُرضين لله الذى يسجد له جميع الأطهار ويرونه بقلوبهم؛ لأن ربنا يظهر لمثل هؤلاء الذين هم ليسوا عبيداً للأوجاع. لأنه مكتوب هكذا من أجل إشعياء النبي، أن الرب لم يعد يظهر للنبي لكونه لم يبكِّت الملك عُزِّيا ومُنع من النبوة. وبعد وفاة عزّيا ظهر له ملاك الرب وطهَّره بالجمرة وبالكلاَّبتين الناريتين (إش٦:٦).

فاعلموا إذن، يا أحبائي، أن الإنسان إذا مات منه سلطان الخطية، فإن الله يظهر للنفس ويطهِّرها هي والجسد معاً. فإن كان سلطان الخطية حيًّا في الجسد، فلا يمكن للإنسان أن ينظر الله، لأن نفسه كائنة في الظلمة ولا يمكن أن يظهر فيها النور الذى هو نظر الله.

لأن داود يقول: "بنورك يا رب نعاين النور" (مز٣٥:١٠). فما هو هذا النور الذى يعاين الإنسان به الله ؟. إنه النور الذى ذكره ربنا يسوع المسيح في الإنجيل؛ أن يكون الإنسان كله نيِّراً وليس فيه جزء مظلم (لو١١:٣٦). كما قال أيضاً: "ليس أحد يعرف الآب إلا الابن ومن أراد الابن أن يعلن له" (مت١١:٢٧). والابن، يا أولادي، لا يُظهر أباه لبنى الظلمة، بل للثابتين في النور، الذين هم أبناء النور وقد أضاء عيون قلوبهم بمعرفة الوصايا.

٣ – فيجب علينا أن نتشبه أولاً بموسى، العظيم في الأنبياء، لنجد مجد إيمانه بالله الذى لا يُرى. لأن موسى صار ابناً لابنة فرعون. ولما

اختار أن يتعب مع شعب الله، ترك عنه العبودية المملوءة إهانة. وهو لم يكن قد نظر الله بعد، إذ كان (ما زال) في العبودية؛ لكن لما خلص من تلك العبودية التي لفرعون، عند ذلك تحرر واستحق أن ينظر العوسجة (أي العلّيقة) مشتعلة بالنار وهى لا تحترق. وقيل إنها كانت رؤيا عظيمة، وكانت هذه له بداية، ثم نظر السر الأوسط، وبعده الكمال.

وموسى هذا، لما ترك مصر وهرب من فرعون، كان له يومئذ أربعون سنة. وقد عمل عملاً مضادًّا لفرعون، ثم تفرَّد في برية مديان التي تأويلها "موضع الله". لأن العقل إذا انفرد عن الكثيرين وصار في الوحدة، فإن الله يقويه ويثبته ليمكنه أن يسأل ويبحث في ما للرب؛ وعند ذلك ينظر عظمة قوته ولاهوته وبهائه في خلائقه.

فيا أولادي الأحباء، إن بداية الرؤيا العظيمة هي النظر الأول الذى نظره موسى وهو متعجب كون العوسجة مشتعلة ولم تحترق، وهذا النظر بعيد من حد الكمال. أما نظر السر الأوسط، فهو أنه تقدم بزيادة أكثر من الأول وقال: "أذهب الآن لأنظر ما هذه الرؤيا العظيمة" (خر٣:٣).فلما تقدم ناداه الرب. أما الكمال فهو تواضعه بعد مخاطبة الله له، ونظره وعمله الآيات.

٤ – واعلموا، يا أولادي الأحباء، أن هذه المناظر التي لله هي بالنسبة لغير الكاملين مثل الناظرين في المرآة. أما الذين وصلوا إلى الكمال، فإن عيون قلوبهم تنكشف ويظهر لهم نور عظيم براحة لا بتعب. لأن أعين الكاملين لا يبقى فيها شيء من تبكيت الخطية ولا الظلمة. لأن هاتين إذا كانتا

موجودتين في القلب لا تدعان النفس تنظر نظر الكمال الذى للكاملين، الذى كان لبولس ومن يشبهه، الذى قال عنه هذا الرسول: "إننا بوجوه مُسْفِرةٍ ننظر إلى مجد الله، كمن ينظر في مرآة، وتتغير ذواتنا من مجد إلى مجد" (٢كو٣:١٨).

هكذا موسى لم ينتقل من موضع إلى موضع، ولا من كورة إلى كورة أخرى، بل كان (انتقاله) انتقالاً ظاهراً عجيباً؛ لأنه نظر هذه الرؤيا العظيمة التي هي اشتعال النار في العوسجة من غير احتراق، ثم مخاطبة الله له ومعاينة المنظر. فهذا هو الانتقال العجيب الذى هو مثال السر العجيب غير المدرك. وهذا الانتقال هو الذى ذكره بولس الرسول أنه انتقال "من مجد إلى مجد"، ومن إيمان إلى إيمان (أعظم)، ومن فضيلة ناقصة إلى فضيلة كاملة. فهذا الانتقال والتقدم هو الذى يقربنا للرب، فنأخذ نظر معرفة قوته. لأن الله يقول على لسان نبيّه: "إن المقتربين منى يعرفون قوتى" (إش١٣:٣٣ السبعينية).

فإذا كان الذى يقترب إلى الله يعرف قوته، فالذي لا يقترب إليه لا يعرف قوته. أما العقل الذى لم يقترب بعد من الله، فإن المنافق – الذى هو الشيطان – يرتفع فيه مثل أرز لبنان. فإذا اقترب العقل من الله واتحد به وصار معه واحداً، فإن المنافق لا يعود يظهر للذي كان يرتفع فيه أولاً. وعن هذا يعلّمنا داود قائلاً: "رأيتُ المنافق قد زاد علواً وارتفع متطاولاً مثل أرز لبنان، ثم عبرتُ فإذا هو كأنه لم يكن، طلبتُه فلم أجد مكانه" (مز٣٦:٣٥-٣٦). وداود لم يطلب المنافق ولا موضعه إلا لبحثه عن معرفة الله، ولهذا لم يجد

المنافق على الإطلاق. وقوله "عبرتُ" هو كقوله في مزمور آخر: "إني سأجوز في موضع مظلَّة عجيبة إلى بيت الله" (مز٤٢:٥).

٥ – ولا تتعجبوا، يا أولادي الأحباء، من أن طريقنا بعيدة؛ ذلك أننا ما زلنا في الطفولة الروحانية، لأننا نرى أنه قد قيل لذلك النبي العظيم إيليا: "قُم كُل واشرب وتقوَّ، لأن طريقك بعيدة" (١مل١٩:٧). وعن هذا البُعد قال داود: "مَن يعطيني أجنحة حمامة لكي أطير وأستريح ؟" (مز٥٤:٧). وبهذا يجب علينا أن نعلم أن حياة كل منا مُعوَزة والطريق شاقة. ولذلك ينبغي علينا أن لا نسعى بضعف وانحلال وتوانٍ، بل بتحفظ وثبات. لأن معلم المسكونة بولس يشير علينا أن "نجرى لندرك" (فى٣:١٢)، ويقول أيضاً: "إني أُقمع جسدي وأصيّره عبداً" (١كو٩:٢٧).

فلنَجرِ الآن، يا أولادي الأحباء، مادام لنا وقت في هذا الجسد، لكي ندرك الكمال، كما أدركه القديس بولس، الذى قال: "إني قد جاهدتُ الجهاد الحسن وأتممتُ سعيّي وحفظتُ إيماني، وحُفظ لي منذ الآن إكليل فخرى" (٢تى٤:٨). فلما أدرك هذا الرسول الكمال في الجسد، اشتهى الخروج منه وقال: "وأنا أيضاً إن كانت لي في حياة جسدي هذا أثمار في أعمالي، فلستُ أدرى ما أختاره لنفسي. إن الأمرين كليهما ليضطرَّاني أن أهواهما؛ فإني أشتهى أن أنطلق وأفارق الدنيا لأكون مع المسيح، وهذا هو الأصلح لي كثيرا والأنفع. وأشتهى أيضا أن أبقى حيًّا بجسدي، يضطرني الأمر إلى ذلك من أجلكم لسروركم وتربية إيمانكم. فلتكن سيرتكم كما يلائم البشرى (أي الإنجيل)"

(فى١:٢٢-٢٧).

فهكذا، يا أولادي الأحباء، اصنعوا أنتم أيضاً. لأن كل من يسعى بالتواني والكسل، فإن آخرته تدركه قبل كماله بالمسيح. كما قال سليمان في الأمثال: "إن أنفس مخالفي الناموس تُنزع قبل أن تصل إلى خوف الله" (أم١٠:٢٧؟). وهكذا حدث لحزقيا الملك (٢مل٢٠:١-١١؛ إش٣٨:١-٨،٢١-٢٢)، عندما أدركه فناء أيامه وهو بغير اهتمام، فلما رجع عما كان عليه وطلب من الرب، استحق زيادة سنين أخرى ونما بزيادة. ولما تمَّت تلك السنين فارقت نفسه جسده وهو في غاية الكمال من خدمة الله.

واعلموا هذا أيضا؛ كما أن للجسد ثلاثة مقادير في مدة دوام النفس فيه، وهى: الصبا، والرجولة، والشيخوخة؛ هكذا النفس لها ثلاثة مقادير أيضا مخفية في الجسد؛ وهى: بداية الإيمان، والعمل، والكمال. فأولاً، إذا ابتدأت النفس أن تؤمن، فإنها تولد في المسيح، كما قيل في الإنجيل (يو٣:٣). ويوحنا الرسول أعطانا أيضا علامة لهذا الميلاد ووسطه وكماله بقوله: "كتبتُ إليكم أيها الشبان ...، كتبت إليكم أيها الأبناء ...، كتبت إليكم أيها الآباء ..."(١يو٢:١٢-١٤). وهذه الكتابة ليست هي لأحبائه الجسدانيين (أي ليست بحسب قامات الجسد)، بل للمؤمنين بمقاديرهم الثلاثة: الذين يشتهون اللبن العقلي (١بط٢:٢)، و(الذين) يتقدمون نحو الكمال، و(الذين) يستحقون النعمة الحقيقية. ولهذا فإن داود لما علم مقدار أيام كمال النفس ههنا، وأنه قد طعن في أيام الجسد، وقد قارب أن ينحلَّ منه ولم تكن له تلك

الأيام التي للنفس، طلب من الله قائلا: "لا تأخذني يارب في منتصف أيامى" (مز١٠١: ٢٥). وهذا الاهتمام كان منه بالنسبة للأيام الروحانية لا الجسدانية. لأن معنى قوله "في منتصف أيامى" هو فزعه من أن تؤخذ منه نفسه قبل كمال أيامها ويكون غريبا عن الكمال.

٧ – وهكذا أيضا، إبراهيم، شُهِد عنه أنه شاخ وطعن في أيامه. كذلك جميع الأطهار، من بعد إيمانهم، كانوا يُتعِبون أجسادهم ليذلُّوها، لأن إذلالهم لأجسادهم هيَّأ لهم شيخوخة في نمو العبادة وخدمة الله.

وافهموا كذلك، يا أولادي الأحباء، أمر دانيال وكيف صار صبياً بجسده وشيخاً بعقله؛ لا كمثل الشيخين اللذَين طعنا في أيامهما بالجسد، بينما أفعال الصبيان وشهوة الصبا معهما. وهذين بكَّتَهما الكلام الطاهر من الصبي دانيال على شيخوختهما الجسدانية الصبيانية، وحكمهما على القديسة البارَّة سوسنه، إذ قال لهما: "أيها اللذان طعنا في أيامهما الرديئة" (دا١٣: ٥٢)، وبقية القول.

٨ – هكذا كل من يحب النسك عليه أن يتشبه بطهارة يوسف وعفَّته، ويبتدئ أن يدرب ذاته على التلاوة (أي الهذيذ) ويتقوَّى على جميع الشهوات الجسدانية لأنها حقيرة. وحينئذ يستطيع أن يدوس الشهوات الأخرى القوية التي للعدو المحتال، ويقول كما قال أيوب: "إن القوة قد فرغت من صُلبه وصرَّة بطنه" (أى٤٠: ١٦).

وبالحقيقة، يا أولادي الأحباء، إن كل من يجاهد ويتقوى على الشهوات

الجسدانية التي تتولد من كثرة المآكل والمشارب، فهو يستطيع أن يشدَّ حقويه بالطهارة، ويطيب قلبه بما قيل في المزمور: "تقلَّد سيفك على فخذك أيها الجبار" (مز٤٤: ٤). وهذا القول يعنى به أن كلمة الله التي تُقتَنى بها الطهارة، هي "سيف قاطع ذو حدَّين" (عب٤: ١٢) كما يقول الرسول. وهذا السيف له الاستطاعة أن يقطع ويميت جميع الشهوات الرديئة.

وهكذا يعقوب أيضاً، لما صارعه الملاك، استلَّ عِرْقاً من فخذه، ولذلك خذل وضعف جسده وسُمِّى إسرائيل، وتعنى "ناظر الله" (تك٣٢: ٢٥).

فهكذا يجب علينا نحن أيضا أن نُضعِف الجسد، بحكمة وتدبير، لكى تضعف الشهوات وتنطفئ. وهذا الضعف يكمِّل فينا قوة الطهارة (٢كو١٢: ٩). وعن هذا الضعف يقول الرسول: "إنني إذا ما كنتُ ضعيفاً، فحينئذ أصير قوياً" (٢كو١٢: ١٠).

كما أن النبي داود افتخر أيضاً بهذا الضعف بقوله: "إنه ليس لجسدي شفاء" (مز٣٧: ٤). وهو قال ذلك لأنه كان قد أضعف جسده الضعف الكريم، لأنه كان يطلب الخلاص العظيم. فليس هذا عدم شفاء، بل شفاء وخلاص؛ لأنه إذا ضعف الجسد حينئذ تقوى النفس.

فلنُضعِف إذن أجسادنا، بحكمة وتدبير، لكى نستطيع أن نضبط ذواتنا. لأننا إذا أقمعنا الجسد واستعبدناه للنفس، فإن الأفكار الجسدانية التي "محبتها عداوة لله" (يع٤: ٤) تموت بذلك الضعف. حينئذ تضيء النفس وتصير هيكلاً للروح القدس.

٩ – فالذي يجاهد لكى يصير طاهراً بجميع أعضائه، فهذا هو الناسك بالحقيقة، وليس بزانٍ. وهو الذى يمكنه أن يقول مع داود : "عظامي كلها تقول : مَن يشبهك يا رب ؟ " (مز٣٤:١٠).

وهذا هو الذى علَّم جميع حواسِّه، ولم يدَعْها تتسلَّط عليه، وثبَّتها ووضع عليها نير الرب بعظم طهارة. فهو لن يَدَع عينيه تنظران إلى شيء غير صالح ولا تشتهيان امرأة. ولن يترك أذنيه تسمعان نميمة ولا مشورة الشيطان وأفكاره، ولأجل هذا تم عليه المكتوب: "إن أذنيك لم تمِلْ لكلام الباطل" (مز١٤٠:٤). وهذا الكلام جعله بالأكثر متعبداً للمسيح كالطيب العطر والبخور الزكي. وفمه أيضا جعل عليه حافظاً (مز١٤٠:٣)، ولم يتركه يتفرغ لكلام الجهل. ويداه جعلهما تعملان بغير ظلم (أو غش) أعمالاً حسنة بالرحمة والحق. ورجلاه لا تسعيان لسفك الدماء، بل تسرعان بنشاط نحو قول الرب: "مَن سخَّرك ميلاً فامضِ معه اثنين" (مت٥:٤١). وبطنه وصدره يحفظهما حتى لا يسقط بهما على الأرض، مثل الثعبان الذى يدب على بطنه وصدره.

١٠ – فهذه، يا إخوتي، هي صفة الناسك. أما الذين ليسوا بنُسَّاك، بل يبكِّرون لشرب المسْكر، فإننا نسمع بخصوصهم قول النبي القائل: "إنهم يحترقون بسكرهم من الخمر، وعيونهم يعطونها لتداول الكؤوس، ويأكلون الجياد من قطعان الغنم، والعجول والرضعان من البقر، ويتنعمون باللـيِّن من الفراش، ويتلذذون بكل ما يليق بالهيولي" (عا٦:٤-٦). وهم يفكرون في ذواتهم أنهم

حكماء، بينما هم أعداء وتنانين؛ لأن التنين يعمل فيهم، وقد ألقوا بطونهم وصدورهم على الأرض. ويظنون في نفوسهم أنهم عقلاء وعارفون بالكتب، وهم يعلِّمونها رديئاً، لأنهم صدور للتنين.

فاعلموا هذا، يا أولادي الأحباء، أن هؤلاء الذين يقصدهم النبي، هم الذين يُدخِلون الاعتقادات الغريبة على التعاليم الصحيحة والإيمان الحقيقي، ويضادون الإيمان القويم الثابت بإيمانهم الكاذب غير الثابت، قائلين عن الذى خلق كل الأشياء أنه مخلوق، ولم يعلموا أن الله خلق الكل بكلمته، كما شهد يوحنا الإنجيلي لأجله قائلا: "في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وإله هو الكلمة. كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان" (يو١: ١-٣). فإذ قد ثبت أن الأشياء كلها به كانت: السمائيين والأرضيين، ما يُرى وما لا يُرى، كما شهدت بذلك الأمانة الصادقة (أي قانون الإيمان)، فكيف يجسر هؤلاء أن يقولوا عنه بعد اتحاده (بالجسد) أنه كأحد المخلوقات بقولهم إن المسيح مخلوق ؟. فهؤلاء هم الذين جعلوا صدر قلبهم محصوراً تحت صدر التنين، كما تقدم قول النبي عنهم إن التنين يسعى في صدورهم وبطونهم.

أما الذين أنهضوا عقولهم، يا أولادي الأحباء، من الأرض ناظرين إلى السماء حيث المسيح جالس عن يمين الله، فقد صاروا خارجاً عن البطن وشهواتها. وربنا يسوع المسيح الجوهر الواحد، الأقنوم الواحد، الطبيعة الواحدة والمشيئة الواحدة، يقبلهم ويقدمهم إلى أبيه كالأشياء الفاخرة الحسنة.

١١ – فإذ قد عرفنا هذا، يا أحبائي، فيجب على من يريد منا أن يكون

ناسكاً، أن يجتهد في البُعد عن الجموع ولا يقترب منهم كى يبقى بجسمه وقلبه خارجاً عن اضطرابات الجموع والخلطة، لأن الاضطراب العظيم يوجد بين الناس.

ومخلصنا يسوع المسيح، قد صار لنا مثالاً للبُعد والانفراد بطلوعه الجبل وحده منفرداً ليصلى، وأيضا غلبته لإبليس في البرية لما حاربه. وهذا ليس لأنه كان عاجزاً أن يغلبه في وسط الكثيرين، لكن حتى يعلِّمنا أننا بالانفراد والهدوء نقدر أن نغلب أعداءنا وندرك الكمال. كما أن مخلصنا لم يُظهِر مجده لتلاميذه أمام الناس، بل أخذهم وصعد إلى الجبل وأراهم مجده. وأيضا يوحنا المعمدان كان في البرية إلى يوم ظهوره لإسرائيل.

واعلموا أيضا، يا أولادي الأحباء، أن عدونا مشتدٌّ علينا بأسلحته الظاهرة والخفية، وأنه قد جعل له أناساً آلة وسلاحاً لطاعتهم إياه، وهؤلاء يضاد المؤمنين؛ مثل الامرأة غير العفيفة التي يتخذها سلاحاً قوياً له، لأنها تفرش جناحيها بجسارة قلب.

وأيضا بطرس رأس الرسل، يعلِّمنا منفعة الانفراد، لأنه لما كان وحده (ليصلى) نظر السماء مفتوحة والإزار هابطاً عليه، وناجاه الله بخصوصه؛ وبعد ذلك ارتفع عنه الإزار إلى السماء (أع١٠:٩-١٦).

هكذا حزقيال (النبي) لما نظر الأربعة حيوانات ذوى الوجوه الأربعة مع البكرات، هذه التي تدل على مجد الله، لم يكن ذلك في مدينة ولا في قرية، بل خارجاً في حقل. لأن الله قال له:" أُخرج إلى الحقل وهناك تنظر مجدى"

(حز٣:٢٢). وبالإجمال، فهذه المناظر والإعلانات لم تصر للقديسين إلا في الجبال والبراري.

والرسول بولس أيضاً تكلم عن هؤلاء القديسين وسيرتهم المكرمة في رسالته إلى العبرانيين، إذ يقول هكذا: "إن هؤلاء كانوا تائهين في الجبال والبراري والأودية والمغاير وشقوق الأرض" (عب١١:٣٨). وأيضاً ، النبي، لما عَلِم أن الانفراد يُرضى الله، قال: "إنه جيد للإنسان أن يحمل نير الرب من صغره ويجلس وحده" (مرا ٣:٢٧-٢٨). وقال أيضا داود النبي: "إني أكون وحدى حتى يجوز الإثم" (مز٥٦:٢). وإرميا النبي أيضا لمعرفته بالاضطراب الذى يكون في الجموع وأنه يُقلِق الذين يريدون أن يرضوا الله، لم يستعفِ أن يقول: "مَن يعطيني مسكناً في القفر، لأترك عنى هذا الشعب وأمضى وأبتعد عنهم ؟" (إر٩:١-٢).

فاعلموا، يا أولادي الأحباء، فضيلة الانفراد؛ لأن ربنا يسوع المسيح، بانفراده دفعات كثيرة، جعل لنا رجاءً ثابتاً في محبة الانفراد، كما قال داود النبي: "لأنك أنت يارب على الرجاء أسكنتني مطمئناً" (مز٤:٩). وإيليا النبي أيضاً، الذى استحق الطعام الروحاني والاغتذاء من ملاك الرب، لم يكن له ذلك في وسط الجموع، لا في مدينة ولا في قرية، بل في البرية فقط.

فكل ما صار للقديسين من هذه وأمثالها: "كُتِب لتعليمنا نحن" (١كو١٠:١١)، لكى نغير من هؤلاء الذين أحبوا الانفراد الذى له استطاعة أن يوصِّل إلى الرب؛ لأنه عزاء عظيم ويجعل الإنسان كاملاً. والذين أحبوا

الانفراد بكل قلوبهم وبكل ذواتهم، صار لهم شرفٌ ونورٌ أكثر من سكان المدن والقرى. فاجتهِدوا إذاً، يا أولادي الأحباء بالرب، أن تثبتوا فيه كما ينبغي ليوصِّلكم إلى نظر الله الذى هو الثاؤريًّا الروحانية، بنعمة ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح الذى له المجد من جميع الناطقين مع أبيه الصالح وروح قدسه من الآن وإلى الأبد آمين.

الرسالة الثامنة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرِّفهم أنهم إذا بلغوا إلى المناظر الإلهية والإعلانات أن يحترسوا من المناظر الشيطانية لئلا يضلّوا بخداعاتهم الكاذبة وتتعظَّم قلوبهم؛ ويحثُّهم على الدوام في الطاعة.

١ – اعلموا، يا أولادي الأحباء، أنه من البدء، لما حادت النفس عن الوصية، حصلت المخالفة. وبتلك المخالفة صارت جميع النفوس يُمضَى بها إلى الجحيم، كما قال الرسول: "إنه بآدم الأول كان الموت" (١كو١٥: ٢١-٢٢). وتحنَّنَ الإله الكلمة، وتجسَّد منا بسر لا يُدرَك، وأكمل كل التدبير لخلاصنا. فنزل إلى الجحيم وسباه سبياً واجتذب منه كل النفوس المحبوسة فيه، وخلصها من سلطان الشيطان. وحفظ بأمره – لا بسلطان الشيطان – غير المطيعين في الظلمة، إلى يوم الحكم الرهيب. وأصعد الذين بإرادتهم قد أطاعوا وسمعوا وعملوا بالأوامر الإلهية، إلى السماء حيث الفردوس.

٢ – وقد كان سبب إصعادهم إلى السماء هو تلك النار غير المرئية، التي هي حرارة الأعمال الصالحة، التي اشتعلت في قلوبهم. وأنا لا أُعرِّفكم هذا فقط، بل وماذا تشبه هذه النفس التي سكنتها نار الله؛ إنها تشبه طيراً ذا

جناحين يطير بهما ويعلو مرتفعاً في جو السماء، لأن الطيور من دون جميع المخلوقات هي التي خُصَّت بالأجنحة. وأجنحة نفس المتعبِّد للرب هي قوة نار الله التي يمكنها أن تطير بها إلى علو السماء. فإذا عُدمتْ النفس تلك الأجنحة لا تبقى لها استطاعة أن ترتفع إلى الجو، لكونها فقدت قوة تلك النار. فتبقى مثل طير قد نُزع عنه جناحاه وصار لا يستطيع الطيران.

وأيضا تُشبَّه نفس الإنسان بالطير، لكون الحرارة هي سبب وجوده في العالم. لأن البيض ما لم يحتضنه الطائر في كل وقت، فلا يمكن أن تخرج منه فراخ حية، لأن حياتها لا يمكن أن توجد إلا في الحرارة. ولهذا قال الرب في الإنجيل المقدس: "يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم من مرة أردتُ أن أجمع بنيكِ، كما يجمع الطائر فراخه تحت جناحيه؟" (مت٢٣:٣٧).

فإذ قد فهمتم، يا أولادي الأحباء، تشبيه نفس مَن يعبد الله بالطير الذى أصل وجوده هي الحرارة، فلا تدعوا قوة هذه النار تُنزع منكم. لأن حروباً كثيرة كائنة لكم من الشيطان بسبب هذه النار المعطاة لكم من الرب، لكى ينزعها منكم. لأنه يعلم أنه لا قوة له عليكم ما دامت هذه النار معكم وفيكم.

٣ – فجاهدوا إذن قبالته، واعرفوا خداعه وحيله، لأنه يخفى مرارته في الحلاوة حتى لا تظهر؛ ويُصوِّر لكم أشياء كثيرة أنها حسنة، وهى ليست كذلك، ليُميل قلوبكم إليه بحِيَله المتشبِّهة بالحق. فهذه هي صناعته دائماً؛ أن

يقاوم بكل قوته كل النفوس المتعبِّدة لله تعبُّداً حسناً. وهو يلقى بأوجاع كثيرة مختلفة في النفس ليطفئ تلك النار التي تقيم الفضيلة فيها. فأول ذلك، راحة الجسد وما يختص به. فإذا رأى الشيطان أنه لا يطاع ولا يُقبَل أمره في شيء منها، فإنه يأتي بجِيلٍ أخرى في صورة البر. فيظهر "كشبه ملاك نور" (٢كو١١: ١٤)، كما قال بولس الرسول؛ ثم بأشياء أخرى كثيرة أعظم من هذه ليُميل قلوبهم إليه. فإذا رآهم أيضاً متحفظين من هذه الأخرى ولا يقبلونها منه ولا يسمعون له مطلقا، فإنه حينئذ يولى عنهم مخزيًّا. وعند ذلك يسكنهم روح الله.

فإذا سكن روح الله فيهم، فإنه يريحهم في جميع أعمالهم، ويُحلِّي لهم حمل نير الله، كما كُتب في الإنجيل: "احملوا نيري عليكم" (مت١١: ٢٩). ويصبرون ولا يتعبون قط لا في عمل الفضائل ولا في الخدمة ولا في سهر الليالي. ولا يغضبون من شتيمة الناس، ولا يخافون البتة من إنسان ولا من وحش ولا من غلاء ولا من جان، لأن فرح الله معهم ليلاً ونهاراً.

٤ – وهذا الفرح يربِّي عقولهم ويغذيها. لأن النفس تترقَّى دائماً بهذا الفرح، وتستعد به، وبه تصعد إلى السماء؛ كما أن الجسد قوامه وثباته بالخبز والماء وبما شابه ذلك، من بداية حياته إلى نهايتها. إننا نرى الطفل يتربى بلبن أمه، ثم بالطعام الرطب، وبعد ذلك بما اتفق له يوماً فيوماً؛ وهكذا يتقوى ويجسر قلبه على أعدائه المقاومين له. فإن لحقه مرض يمنعه من الاغتذاء، فإن أعداءه يقوون عليه من كل جهة ويغلبونه. ولا يمكنه أن ينال الصحة ويُشفَى

من مرضه ويغلب أعداءه إلا بملازمة الطبيب إياه ومعالجته له. فهكذا نفس الإنسان، إذا لم يكن فرح الله فيها، فإنها توجد مريضة ومطروحة بجراحات خبيثة. فإذا هي اجتهدت في طلب إنسان خادم لله وعارف بالطب الروحاني، وتمسَّكتْ به، فإنه يشفيها من أوجاعها، فتقوم دفعة أخرى، ويعلِّمها أمور الله. وهكذا تستعيد ذلك الفرح الذى هو طعامها، وحينئذ تقدر أن تضاد أعداءها الذين هم الأرواح الشريرة، وتغلبهم وتدوس كل مشوراتهم، وتتكمَّل بالفرح.

٥ – فالآن، يا أحبائي، إذ قد علِمتم هذا، تحفَّظوا من مشورات الشيطان الرديئة. لأنه يأتي بصورة من يقول الحق ليخدع ويطغى على من يقبله. فإذا أتاكم بشبه ملاك النور فلا تصدقوه ولا تسمعوا منه؛ لأنه يصطاد المؤمنين بأساليب تبدو حسنة وهى ليست كذلك. والذين لم يدركوا الكمال بعد، لا يعرفون حِيَل الشيطان هذه ولا ما يلقيه فيهم كل وقت. أما الكاملون الذين درَّبوا حواسهم، وعرفوا تمييز الخير من الشر (عب٥: ١٤)، فهؤلاء لا يقدر العدو أن يُطغيهم. أما المؤمنون الذين لم يكملوا (بعد)، فإذا لم يحترسوا لذواتهم فإنه يخدعهم بطعامه الطيب في مظهره وهو ليس بطيّب، ويجتذبهم كما يجتذب الصياد السمكة بعدما يغطى رأس الصِنَّارة بالطُعْم. فالسمك لكونه لا يعلم بالصنَّارة المستورة بالطُعم، يتقدم ويبلع الطُعم، فيُؤخذ عاجلاً وبسهولة. فافهموا هذا، أن السمك لو علم أنه يُؤخذ بذلك الطُعم، فإنه كان ينفر منه ولا يقربه أصلاً. هكذا، كما قلنا عن المؤمنين غير الكاملين، فالعدو

يصيدهم بالأسباب التي تشبه الحق، كما يقول سليمان الحكيم إنه: "قد يوجد طريق يُظن بها أنها مستقيمة وآخرتها تؤدى إلى أسافل الجحيم" (أم١٦:٢٥).

ومكتوب أيضا في عاموس النبي: "يا عاموس، ماذا تصنع هنا؟ فقال: إني أرى شبكة لصيد الطير" (عا٨:٢). ومعلوم أن الطير، لفزعه من أن يُؤخذ في الأرض، فهو يتعالى في الجو ويصنع له مكاناً لراحته ورقاده. فإذا رقد يكون بلا همٍّ كونه لا يصل إليه أحد فيمسكه. لكننا نرى الصياد يتحايل ويأتي تحت مكانه، وينصب له شبكته ويخدعه بالطُعم، وبذلك ينزل به من ذلك العلو ويقتنصه. والشيطان يفعل هكذا، ويصيد المؤمنين غير الكاملين بحيله التي هي شبيهة بالحق وهى ليست كذلك، ويُنزلهم من علوّهم.

لأنه هكذا فعل (الشيطان) لما اختفى في الحية وقال لحواء: "إنكما إذا أكلتما من الشجرة تصيران آلهة وتنفتح أعينكما" (تك٣:٥). فلما سمعت حواء هذا الكلام، مال قلبها إليه وظنَّت أنه حق، لأنها لم تفحصه. فلما أكلتْ وأطعمتْ آدم، أصابهما الذل العظيم وسقطا كلاهما من علوّهما.

٦ – هكذا يفعل الشيطان بالمؤمنين الذين لم يدركوا الكمال بعد عندما لا يفرقون بين الخير والشر، بل يتبعون أهويتهم ويقنعون برأيهم، ولا يرجعون ليتعلموا من آبائهم الذين قد كملوا وميَّزوا بين الخير والشر، ويظنون أنهم قد صاروا كاملين ومباركين وحدهم مثل آبائهم. فهؤلاء، يا أولادي الأحباء، يشبهون تلك الطيور التي صنعت أوكارها في الجو وهبطت إلى الأرض،

فاقتنصها الصيادون بالحيل المخادعة. وهذا يكون لهؤلاء بسبب اتكالهم على ذواتهم وعملهم مشيئاتهم وتكميل إرادتهم، وعدم طاعتهم واستماعهم لآبائهم. فإن الشيطان حينئذ يأتي عليهم بهذه المناظر الخادعة، ويملأ قلوبهم بالكبرياء. فهو يريهم في الليل أحلاماً ويحققها لهم نهاراً ليضلَّهم. وليس هذا فقط؛ بل ويأتي لهم بأنوار في الليل، حتى أن مواضعهم تضيء؛ ويصنع مثل هذه أشياء كثيرة وعلامات لا نستطيع أن نأتي عليها ولا نكتبها واحدة فواحدة. وكل ما يصنعه لهم هو لكى يُطيِّب قلوبهم أنه ملاك الله فيقبلونه إليهم. وعندما يقبلونه بهذه الصفة، فإنه عاجلاً يهبط بهم من علوِّهم – مثلما ذكرنا عن تلك الطيور– لسبب روح الكبرياء التي تملَّكتْ عليهم. ويجعلهم يظنون أنهم صاروا عظماء وأجلاّء في الروحانية أكثر من كثيرين، فلا يرجعون يسمعون من آبائهم. وهكذا يتم عليهم المكتوب: "إنهم عناقيد زاهرة قاسية (أي مُرَّة)" (تث٣٢:٣٢)، وهم في الحقيقة كذلك، لأن التعلم من الآباء صار صعباً عليهم لظنِّهم أنهم قد عرفوا كل الأشياء.

٧ – فيا أولادي الأحباء المباركين، افهموا ما قد قلته لكم؛ فإنكم لا تقدروا أن تتقدموا وتنموا بالأكثر، ولا تكمُلوا ولا تعرفوا أن تميزوا بين الخير والشر، إذا لم تسمعوا تعليم آبائكم الكاملين. لأن آباءنا هكذا صنعوا باستماعهم لآبائهم وتعلُّمِهم منهم، فتقدموا ونموا وصاروا معلمين، كما هو مكتوب في حكمة يشوع بن سيراخ : "تعلَّموا من آبائكم، لأنهم قد تعلموا من آبائهم" (ابن سيراخ٨:٩).

فيجب عليكم، يا أولادي الأحباء، أن تتمثلوا بهؤلاء الذين أطاعوا آباءهم وسمعوا لهم في كل شيء، وقد علَّمهم آباؤهم جميع أعمال الله التي تعلَّموها من آبائهم، وهم أيضاً صاروا معلمين لبنيهم المؤمنين الطائعين. لأن إسحق أطاع إبراهيم، ويعقوب أطاع إسحق، ويوسف أطاع يعقوب، وأليشع أطاع إيليا، وبولس أطاع حنانيا، وتيموثاوس أطاع بولس. فهؤلاء وأمثالهم من القديسين أطاعوا آباءهم وأكملوا إرادتهم بتكميلهم الطاعة لهم في كل شيء؛ وعرفوا الحق وتعلموا البر، واستحقوا أخيراً روح الله. عند ذلك صاروا ينطقون بالحق في كل شيء، كما هو مكتوب في حزقيال النبي: "إني جعلتك مدبراً لبيت إسرائيل" (حز٣:١٧).

فالآن، يا أحبائي بالرب، المستقيمين بقلوبهم، إن أردتم أن تأتوا إلى قدام وتنموا بزيادة وتصيروا غير مضطربين بقلوبكم ولا تقدر الشياطين أن تهزأ بكم في شيء، فاسمعوا من آبائكم وأطيعوهم، وأنتم لا تسقطون.

٨ – وأنا أعلِّمكم عملاً آخر يُثبِّت الإنسان من البداية إلى النهاية؛ وهو أن يحب الله من كل قلبه ومن كل نيَّته، ويتعبَّد له. وعند ذلك يعطيه الله قوة عظيمة وفرحاً، وتحلو له جميع أعمال الله مثل الشهد. وهكذا أيضاً كل أتعاب الجسد، والهذيذ والسهر؛ وحِمْل نير الرب يصير عليه خفيفاً حلواً.

ولأجل محبة ربنا للبشر، يطلِق على الإنسان أشياء مضادة لتلك، حتى لا يتعظَّم بل يثبت في الجهاد ويزداد في النمو. فعوضاً عن القوة يجد ثقلاً وضعفاً، وعوضاً عن الفرح حزناً، وعوضاً عن الحلاوة مرارة. وأشياء كثيرة مثل

هذه يصاب بها محب الله. ولكنه يتقوى كثيراً في جهادها ويغلبها. فإذا غلبها فإن روح الله يكون معه في كل شيء ويقويه حتى لا يخاف البتة من أي شيء رديء.

وإني أسأل سيدى، أن يعطيكم هذه النعمة لأجل طاعتكم ويحفظها لكم. الذى له مع أبيه وروح قدسه التسبيح والتقديس من جميع الناطقين إلى الأبد آمين.

الرسالة التاسعة عشرة

لأولاده الرهبان

يعرِّفهم أن الذين وصلوا إلى الكمال وقبلوا
الروح القدس لابد أن تُطَلق عليهم قتالات
أصعب من الأولى لتُثبَّت لهم النعمة ويزدادون
في كمالهم وينالون البركة الأخيرة.

١ – اعلموا، يا أولادي الأحباء بالرب، أن الروح القدس أزلي سرمدي يفوح رائحة زكية حلوة لا توصف بلسان، كما قيل: "مَن هم الذين عرفوا لذة الروح وحلاوته إلا الذين استحقوا أن يحل فيهم ؟ "

٢ – وهذا معلوم، أن كثيرين لا يستحقونه؛ لأن روح التوبة لا يسكن في نفوس التائبين إلا بعد أتعاب كثيرة جداً. فإذا سكن فيها يسلمها للروح القدس، والروح القدس يحل فيها.

٣ – وقد نرى، يا أولادي الأحباء، أن في هذا العالم أشياء تشابه هذه، وهو أن حجر الجوهر لا يُقتنى إلا بتعب كثير؛ ولا يجده أحد في المدن ولا في القرى، بل في بيوت الملوك فقط. هكذا أيضا الروح القدس لا يسكن في

نفس متكبرة، بل في نفوس المتواضعين الذين أفكارهم جميعها في الكمال. فإذا سكن هذا الروح في هؤلاء، فإنهم يرسلون للرب شكراً عظيماً لأنهم استحقوا حلول الروح القدس فيهم، كما استحق لاوي وقدَّم للرب شكراً عظيماً قائلا: "أباركك يا رب يا من علَّمتني بالروح الذى أعطيته لعبيدك"، كما قال أيضاً: "مبارك أنت، يا رب، لأنك أعطيت لقديسيك كرامة أفضل من كل الغِنَى، وإني لا أستطيع أن أدرك عظم غِنَى الروح الذى أنعمتَ به على قديسيك".

وهذا الروح، يا أولادي الأحباء، لما طلبه القديسون وجدوه. وهو الحجر الحقيقي الذى ذُكر في الإنجيل المقدس: " أن إنساناً تاجراً كان يطلب الجواهر الحسنة، فوجد دُرَّة كثيرة الثمن، فمضى وباع كل ماله واشتراها" (مت١٣: ٤٥-٤٦). ومكتوب أيضاً أن: "كنزاً مخفياً في حقل، وجده إنسان فخبَّأه، ومن فرحه مضى وباع كل شيء له واشترى ذلك الحقل" (مت١٣: ٤٤). هكذا القديسون، يا أحبائي، في كل الأجيال، عندما وجدوا هذا الروح وسكن فيهم، قدموا للرب شكراً عظيماً. فالروح القدس لا يسكن إلا في نفوس مثل هؤلاء الطوبانيين، وهو يكشف لهم أسراراً عظيمة، ويعطيهم فرحاً وراحة لقلوبهم في هذا العالم، ويجعل ليلهم مثل النهار.

٤ – وإذ قد أعلمتكم، يا أولادي الأحباء، بعض أفعال هذا الروح القدس، أُحب أن أُعرِّفكم أيضاً قتالات الروح الخبيث. فاعلموا أنني منذ أن فارقتكم سهَّل الرب طريقي إلى أن وصلتُ إلى مسكني، وثبَتُّ في وحدتي

خارجاً عن الجماعة، بمعاضدة الروح القدس في الخفاء والظاهر. وأنا أودُّ دائماً أن تكونوا بالقرب مني، لكي أعرِّفكم ما يكشفه لي الروح القدس في كل وقت، لأنه مكتوب أن: "غِنَى الرب يساعد الحكيم"؛ وما هي التجارب التي حصَلتْ بعد ذلك لمسكنتي.

٥ – لأن التجارب، في الحقيقة، لا تأتي بقوة إلا على الذين قد قبلوا الروح القدس. لأنهم عند قبولهم الروح تأتي عليهم التجارب من الشيطان لكون الروح يطلقه عليهم. فالشيطان ليس له سلطان أن يثقِّل على أحد المؤمنين، إلا إذا أُعطى ذلك من جهة الروح القدس.

٦ – وربنا يسوع المسيح، لما أخذ ما يختص بنا، صار مثالاً لنا، لكي يعلِّمنا كل حين أن نعرف الحق. فهو لما اعتمد، حلَّ الروح القدس عليه مثل حمامة؛ ثم أخرجه الروح القدس إلى البرية ليُجرَّب من إبليس. ولما جرَّبه بكل التجارب لم يقْوَ عليه، كما كُتب في إنجيل لوقا من أجله هكذا: "فلما أكمل إبليس كل التجارب مضى عنه إلى حين، ورجع يسوع إلى الجليل بقوة الروح" (لو٤: ١٣). فهكذا كل الذين ينالون الروح، ويجاهدون ويغلبون التجارب، فإن الروح يقويهم ويعطيهم قوة عظيمة بزيادة، ويرفعهم ويحفظهم من كل الأشياء.

فيا أولادي الأحباء، كنت أشتهي أن تكونوا بقربي لتعرفوا تجربتي الأخيرة، التي تشبه تجربة ربنا يسوع المسيح الأخيرة. لأنه لما أكمل تدبيره وعرف بانتقاله، قال: "يا أبتاه، إن كان ممكناً، أن تعبر عني هذه الكأس؛

ولكن ليس كإرادتي بل كإرادتك" (مت٢٦: ٣٩). وكان ذلك بصلوات وطلبات، وليس هو خوراً أو خوفاً أو عجزاً؛ بل لتعليمنا أيضاً، كما كانت تجاربه الأولى تعليماً لنا. لأنه بإرادته أتى من السماء دون أن يفارقها، وحلَّ على الأرض وأخذ شكلنا ليخلصنا به بما صنعه فيه من التدابير والتعاليم. ومات عنا وقُبر وقام وخلَّص المأسورين في الجحيم وصعد إلى السموات حيث كان أولاً.

فانظروا، يا أولادي الأحباء، إلى محبة الله الكلمة، أنه أصعدنا من هوَّة الجحيم إلى أعلى السموات. لأن السماء العليا غير السماء المرئية، غير الجو الذى هو الهواء الذى يهبُّ بخفَّته، وجو الهواء غير هذه الأرض الكثيفة التي نحن كائنون الآن فيها وعما قليل ننتقل منها. واعلموا أن أعمال السماء هي غير أعمال الأرض، وأن ثم صقع آخر أثقل من هذه الأرض الكثيفة، صعب جداً ومظلم، وليس فيه شيء من النور ولا راحة، وهو الذى يدعى الجحيم. فالتجربة التي أتت علىَّ أخيرًا، يا أولادي، كادت أن توصلني إلى الجحيم بعينه. لأن أعداء الخير أرادوا أن يلقوني فيه بكثرة تحيُّلهم؛ وعن هذا كان تعبى وجهادى وضيقتي واضطرابي. لكنى، أنا المسكين، أشكر إلهى وأمجده، هذا الذى أنا أخدمه بكل قلبي من صِغرى إلى الآن وأسمع له، لأنه لم يتخلَّ عنى بل عضَّدني وخلصني من ظلمة الأعداء، وردَّني إلى رِفعتي الأولى مرة أخرى، كما خلص آدم وأولاده الصالحين وردَّهم إلى رتبتهم الأولى. لأنه مكتوب: "صعد إلى العلا وسبى سبياً وأعطى الناس مواهب" (مز٦٧: ١٩، أف٤: ٨).

٧ – وأُعْلِمكم أيضاً أن تجربتي الأخيرة تشبه تجربة يوسف الأخيرة. لأن يوسف الطوباني البار، لما جُرِّب بتجارب كثيرة لم يضطرب؛ وفى الآخر لما أُلقى في السجن الذى هو شبه الجحيم، اضطرب لهذه التجربة. لكن ربنا بتحننه، لما رأى حسن جهاده وصبره، أعطاه كرامة جزيلة وصيَّره ملكا. ولم يعد من ذلك الوقت يُجرَّب أصلاً.

فحقاً، يا أولادي المحبوبين، إني لم أُخفِ عنكم مقدار ما كنت فيه من التجربة التي خلصني سيدى منها. وأنا متحقق أن ذلك بصلواتكم وطلباتكم، وتذكاركم لمسكنتي. لأنكم تعبتم معي كثيراً، وسيعطيكم الرب نعمة الروح والخلاص كما أعطى لمسكنتي. لأنه قال لتلاميذه: " أنتم الذين صبرتم معي في تجاربي، أنا أُعدُّ لكم الملكوت كما وعد أبى، لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي" (لو٢٢:٢٨-٣٠). وافهموا يا أولادي الأحباء، فحوى هذا الكلام: أن الذى يشترك مع المسيح بطاعته له، فإنه يشترك معه في مواضع الراحة؛ والذى يشترك معه في الهوان يشترك معه في المجد. لأن كل من يقبل الأتعاب والشتائم والتعيير والهوان، هو الذى يتمجد. لأنه مكتوب أن الابن الصالح هو الذى يرث أتعاب آبائه وبركتهم؛ أما الابن الرديء فإنه يرث اللعنة.

٨ – واعلموا، يا أولادي الأحباء، أنني بعد كتابة هذه الرسالة، حرَّكني الروح أن أكتب عن الساروفيم الذى رآه حزقيال النبي (حز١:٤)، الذى هو مثال لنفوس المؤمنين الذين يجاهدون وينالون الكمال. هذا كان له ستة

أجنحة وهى مملوءة عيوناً؛ وله أيضاً أربعة وجوه ناظرة إلى الأربع جهات. أحد الوجوه يشبه وجه إنسان، والآخر وجه ثور، والآخر وجه أسد، والآخر وجه نسر. أما بقية ما ذكره النبي، فليس هذا وقته أن أكتب عنه إليكم. لكنني أشرح لكم شيئاً يسيراً من تفسير ذلك، وإذا أتيت إليكم بمعونة الله شرحتُ لكم ما تبقَّى منه مشافهة، لأنني لا أستطيع أن أكتب لكم عنه.

فاعلموا أن الوجه الأول للساروفيم – وهو وجه إنسان – هو رمز للمؤمنين الذين في العالم العاملين بما يختص بهم من الوصايا. فإذا خرج أحد أولئك إلى شكل الرهبنة، فقد تشبَّه بوجه الثور؛ لأنه يعمل ويجتهد في الوصايا التي للرهبنة والقتال المحسوس. فإذا أكمل (واجبات) المجمع بحسب ترتيبه وخرج وسكن البرية وتفرَّد في الوحدة لقتال الشياطين غير المنظورين، فقد تشبه بوجه الأسد، الذى هو سلطان الوحوش البرِّية. فإذا غلب الأعداء غير المنظورين وتسلَّط على الأوجاع كلها ومَلَكَها، فإنه يرتفع بالروح القدس، وينظر المناظر الإلهية ويتشبه بوجه النسر؛ ويتم عليه المكتوب : "يجدد مثل النسر شبابك" (مز١٠٢:٥). حينئذ يميِّز عقله ما يأتيه من جهاته الستة؛ فيتشبه بتلك الستة الأجنحة المملوءة عيوناً، ويصير سيرافيمَ روحانياً، ويرث الميراث الأبدي بطاعته لآبائه الروحانيين.

٩ – وأنا أعلم، يا أولادي الأحباء، أننا نحن جميعنا قد قبلنا قوة من الرب (لسبب) طاعتنا لآبائنا وبركتهم لنا. وأنتم أيضاً، لطاعتكم وخدمتكم تقبلون قوة من الرب، وترثون بركة آبائكم. وحقاً أقول لكم إنني ذاكر إياكم

على الدوام، وناظر إليكم بالروح، مثل الوالدة الحنون الشفوق على أولادها الأطفال. وفى مرات عديدة أراد سيدى أن يريحني من أتعاب هذا الجسد ويأخذ نفسى إليه، ولكن لاستراحة روح الرب عليكم، قد ترك روحي المسكينة في جسدها لتربيتكم، وقال لي: " إنك والدة حسنة ومربّية صالحة، وقد تركتُكِ لتربِّي أولادكِ حسناً". والآن، يا أولادي المباركين، اقبلوا بركتي الأخيرة.

١٠ – ها هوذا كتاب أبيكم وبركته إليكم، فاحفظوه لأنه الميراث الحقيقي وتوريث الآباء الروحانيين (لأبنائهم)، لأنهم لا يورّثون أبناءهم ذهباً ولا فضة ولا ما شاكلهما، بل الميراث الحقيقي. أما الآباء الجسدانيون فهم الذين يورّثون أبناءهم الذهب والفضة وما شابه ذلك. فانظروا إلى رؤساء الآباء، كيف كانوا أغنياء جداً بالذهب والفضة وما إلى ذلك من الغنى الجسداني، ولم يُذكَر عنهم أنهم ادَّخروا لأبنائهم شيئاً من هذه، لأنها زمنيات زائلات. لكنهم ورّثوهم تلك البركة الحقيقية الدائمة سرمداً التي تورِّث الراحة السمائية، وهى التي تبقى مع الإنسان إلى الأبد.

واعلموا أن هذه البركة التي أعطاها أبوكم لكم ، مثل البركات الأبوية، هي خلاص بالرب وبروح الحق. وليعطيكم ربنا هذا إلى أن تنتقلوا من هذا العالم الزائل وترثوا ذلك الدائم، بشفاعة آبائنا (القديسين) أجمعين؛ آمين.

الرسالة العشرون

وهى آخر رسائله، كتبها لتلميذه الحبيب ببنوده الذى كان رئيساً على أولاده الرهبان، ولكل مَن هو تحت طاعته، ولكل الذين يطلبون طريق الرب. ويؤكد عليهم أن يثبتوا في أماكنهم ولا ينتقلوا منها لكى ينالوا البركة الأخيرة. ويعرِّفهم فيها أنواع قتالات الشياطين، وأنواع معونة الرب لمن يصبر.

١ – حبيبي بالرب المكرَّم ببنوده، السلام لك.

قبل كل شيء، أنا أسال من أجل خلاصك، وأيضا من أجل خلاص كل النفوس الطائعة لك الطالبين معك باسم الرب، وكل الذين يسيرون معك بالسلام، من أجل ربنا يسوع المسيح.

إن الذين ينيِّحون أنفس آبائهم، الرب يسوع المسيح يريحهم في ملكوت السماء. واعلموا جميعكم أن كل مَن ينيح إنساناً واحداً من عبيد الرب، ولو بكأس ماء بارد، فأجره لا يضيع، كما قال ربنا بفمه الطاهر إن: "مَن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ، الحق أقول لكم، إن أجره لا يضيع" (مت١٠: ٤٢). وقال أيضاً، من أجل الذين يُحزنون أنفس

التلاميذ ويعثرونهم برداءتهم، إن: "مَن شكَّك أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بي ، فخير له لو عُلِّق في عنقه حجر الرحى ويُغرَّق في البحر" (مت١٨:٦). وقال أيضاً: "بالكيل الذى به تكيلون يُكال لكم" (مت٧:٢). وافهموا هذا، يا أحبائي، أن الرب لا يحب شيئاً مما على الأرض أكثر من تلاميذه وصانعي إرادته؛ ويدحض كل من يهينهم، لأن كل ما يصنعه بعبيد الله فبه يصنع، خيراً كان أم شراً. لأنه قال: "مَن قَبِلَكم فقد قَبِلَني" (مت١٠:٤٠)؛ وقال أيضاً: "إذا لم تفعلوا هذا بأحد هؤلاء الصغار فبي لم تفعلوا" (مت٢٥:٤٥).

٢ – فيا أحبائي، احترسوا من أن تستهينوا بأحد من الناس، لأن أصل هذه (الاستهانة) هو الكبرياء التي أوجبت على العالم غضب الله. لذلك قال إشعياء النبي: "هوذا يوم رب الصباؤوت يأتي على كل المتعظمين بقلوبهم والمستهزئين" (إش٢:١٢). فانظروا، يا أحبائي، عِظَم هذا الحزن الذى يصيب المتعظِّمين. فيجب علينا نحن أيضاً أن نبكى على ذواتنا بحرقة قلب وكآبة، لأنى رأيت رهباناً كثيرين وعذارى قد سقطوا في هذا الوجع بسبب ظنِّهم الفاسد، إذ قالوا عن ذواتهم: إننا نحن شيء عظيم وليس أحد يشبهنا. وحقاً، يا أحبائي، أقول لكم أنه ليس فيهم سوى الكبرياء والاستهانة بالناس، والبغضة والغيرة الرديئة والمخاصمة، ولا يشتهون أن يندموا ويرجعوا بقلوبهم. وهذه وأمثالها لم تدعهم يميزون بين الخير والشر، وبين الحلاوة والمرارة. لأن الأرواح الخبيثة التي في الجو جعلتهم يبكون وقت الضحك، ويضحكون وقت البكاء، وتمَّ عليهم قول الكتاب: "ملعون كل مَن يجعل الجيد رديئاً والرديء

جيداً، ومَن يجعل المرَّ حلواً والحلو مرّاً"(إش٥: ٢٠). فهؤلاء كان يجب عليهم أن يسمعوا قول القديس يوحنا القائل: "لا تصدقوا كل روح، بل امتحنوا الأرواح هل هي من الله" (١يو٤: ١).

فيجب علينا نحن أن نبكى على هؤلاء الثابتين في هذه الشرور المذكورة كل زمان حياتهم، تلك التي يحبونها أكثر من محبتهم للطعام الضروري، ولا يسمعون تعليم الله الحق، بل يتمسكون بتلك التعاليم الشريرة التي لأرواح الخبث.

٣ – وهذه هي تعاليم الله: الطهارة، السلام الدائم الذى بلا تغيير المملوء من الرحمة، وبقية الأثمار الحسنة الحقيقية التي كمالها البركة. فاحرصوا أنتم، يا أحبائي، على اقتناء هذه التعاليم التي للروح التي بها تحيا نفوسنا، وبها نقبل الرب في ذواتنا، لأنها هي الطريق الآمنة التي لا يوجد فيها لص ولا شيء رديء.

واعلموا أنه بغير طهارة الجسد والقلب، لا يستطيع أحد أن يكون كاملاً أمام الله؛ وذلك كالمكتوب في الإنجيل المقدس: "طوبى للطاهرة قلوبهم، فإنهم يعاينون الله" (مت٥: ٨). فالكمال إذاً يتولَّد من طهارة القلب. لأن القلب فيه النوعان: أعنى الخير الطبيعي، والشر غير الطبيعي الذى يولِّد أوجاع النفس التي هي النميمة والحسد والهزء وبقية الشرور. أما الخير فهو مولِّد معرفة الله وخلاص النفس من تلك الأوجاع؛ ولذلك قال النبي داود: "يا نفسى، باركي الرب... الشافي جميع أوجاعكِ" (مز١٠٢: ١-٣).

فإذا سعى الإنسان، يا أحبائي، بعدم شر، وتوكَّل على الرب باستقامة، وهرب من الأشياء الرديئة ببكاء وكآبة وتنهد وصوم وسهر ووداعة وطلبات كثيرة إلى الله، فإن الرب بصلاحه يعضده ويخلصه من جميع أوجاع النفس، كما قال داود النبي: "احكم لي يا الله، فإني بالتواضع مشيتُ وعلى الرب توكلتُ، فلا أجزع" (مز٢٥: ١).

٤ – وكما أعلمتكم، يا أحبائي، أنه بهذه الأعمال يكون شفاء النفوس من الأوجاع، أنا أيضاً أُعلمكم أن كثيرين أقاموا كل زمانهم في الرهبنة والبتولية ولم يتعلموا التعليم الطاهر، لأنهم تركوا تعليم آبائهم وتمسكوا بشهوات قلوبهم. ولذلك قويتْ عليهم الجان الخبثاء واللصوص المردة الذين في الجو، وصارت ترشقهم بالسهام في الخفاء ليلاً ونهاراً، حتى تجعلهم لا يثبتون في مجامعهم؛ وتُشعل قلوبهم بالكبرياء والمجد الباطل والغيرة الرديئة والنميمة والغضب والحنق والمحارنة (أي العناد)، وأوجاع أخرى كثيرة. وهذه وأمثالها تصنعها الشياطين لأنهم يقصدون موتنا لا حياتنا.

وهذا الكلام الذى أعلمتكم به، يا أحبائي، ليس من عندي بل يذكره يعقوب الرسول قائلا: "إن كانت فيكم غيرة مُرَّة وكان في قلوبكم شقاق، فلا تفتخروا ولا تكذبوا على الحق، لأن هذه حكمة ليست نازلة من فوق لكنها أرضية نفسانية شيطانية" (يع٣: ١٤–١٥). وأيضاً مكتوب في رسالة يوحنا الرسول أن: "مَن يصنع الخطيئة هو من الشيطان" (١يو٣: ٨).

وإذ قد علمتم، يا أحبائي، أن الثابتين في هذه الأفعال ليس للرب عمل

فيهم، بل هم مشاركون للتعاليم الشيطانية ويُعَدُّون مع الشياطين، لهذا فلنبكِ على ذواتنا في وقت الحزن هذا الذى نحن فيه، ولنعرف أيضاً مقدار (عظمة) موهبة الروح القدس، ونصرخ مع القائل: "هلموا فلنسجد ونَخُرْ ونبكِ أمام الرب الذى صنعنا" (مز٩٤:٦). ونقول أيضاً قوله: "خلِّصني يا رب، فقد فنى الطاهر وقلَّ الحق من بنى البشر. تكلم كل واحد مع قريبه بشفاه غاشة وقلب ملتوٍ" (مز١١:٢،٣). ومن أجل هذا الكلام وما يأتي بعده، يحق لنا أن نبكى، لأنه قال: "الرب يبيد الشفاه الغاشة والألسنة المتعظمة" (مز١١:٤)

٥ – واعلموا، يا أحبائي، أن هؤلاء هم الذين يُعَدُّون مع العذارى الخمس الجاهلات، لأنهم أجازوا كل زمانهم بالجهل، ولم يلجِّموا ألسنتهم، ولم يطهِّروا عيونهم وأجسادهم من الشهوات، ولا قلوبهم من النجاسات ومن أشياء أخرى تستحق أن نبكى بسببها لأنها ليست ظاهرة. وكانوا يقنعون (أي يكتفون) بلبس الصوف فقط الذى هو زيُّ البتولية لا غير. ولأجل هذا لم تكن لهم لذَّة سمائية، ولم ينوحوا على ذواتهم ولم يوقدوا مصابيحهم. ولهذا لا يفتح لهم العريس، بل يقول لهم كما قال للعذارى الجاهلات: "الحق أقول لكم إنني لا أعرفكم" (مت٢٥:١٢). ويقول لهم أيضاً: "اذهبوا عنى يا ملاعين إلى النار المؤبدة حيث البكاء وصرير الأسنان" (مت٢٥:٤١).

٦ – والآن، يا أحبائي، أنني لم أكتب إليكم هذه الرسالة إلا لطلبتي خلاص نفوسكم، لكى تكونوا أحراراً وأمناء، وعروساً طاهرة للمسيح. لأنه عريس كل النفوس الطاهرة، كما يقول الرسول بولس: "إنى خطبتكم لرجل

واحد، بكراً نقيةً، لأقربكم للمسيح" (٢كو١١:٢).

٧ – وأنا أعلم أنه قد أصابتكم حروب كثيرة، يا أحبائي، وبمعونة ربنا الذى دبَّركم قد جزتموها واحدة فواحدة. لأن "الله صادق"، وهو الذى يقويكم ويقوِّى كل الذين يخدمونه، "حتى لا يدعكم تُبتَلون بأكثر مما تطيقون" (١كو١٠:١٣). فاعلموا إذاً، يا أولادي الأحباء، قوة التجارب التي أصابتكم، وعِظم الكرامات التي أُعطيتموها من الله بسببها، واثبتوا فيما يأتي عليكم أيضاً. لأن الذهب يجرَّب بالنار عدة مرات ليظهر مختاراً بزيادة التجربة. هكذا ربنا بصلاحه يُجرِّب الإنسان بتجارب كثيرة، ويسبكه مثل الذهب المصفَّى (مل٣:٣) ويعلِّمه حرب القلب، حتى أنه لا يعود يفكِّر أو يذكر ما جرى عليه من كثرة الشتائم والإهانات من الناس، ويكون أيضاً بلا خوف من أفعال الشيطان؛ بل يتواضع أمام الله ويتوكل عليه. ويكون دائماً مستعداً بالخير أمام الله، كما قال داود النبي: "قلبي مستعد يا الله، قلبي مستعد؛ أُسبِّح وأُرتِّل في تمجيدي" (مز١٠٧:٢).

٨ – واعلموا أنه لا بد أن يكون لكم هذا؛ أن بعض إخوتكم يحزنونكم بالشتائم والتعيير، بل أن شركاءكم في منازلكم (أي قلاليكم) يهينونكم. فإذا أتت هذه عليكم، فاثبتوا ولا تخافوا ولا تحزنوا، بل اشكروا الرب على جميع ذلك. فبغيره، لما كان لكم شيء من هذا؛ لأنه لا بد أن تأتى الحروب على خدَّام الله. وكل مَن لم يُمتَحن من صلاح الله بالتجارب والأحزان والأتعاب والشدائد حتى يتعلم كيف يقتنى الصبر والخير، فلا يَقبَل من الله الكرامة.

٩ – فالآن، يا أحبائي، اصبروا على الأتعاب والأحزان التي تأتى عليكم. واشكروا الرب باتضاع عظيم لتروا سرور أتعابكم، وتفرحوا مثل المغبوطة سوسنَّه القوية في الحرب، التي قويت على شهوة الشيخين مخالفي الناموس اللذيْن شهدا عليها زوراً وأوجبا عليها أتعاباً كثيرة، وبصبرها وثباتها رفعها الله في نهاية جهادها وأذلَّ أعداءها. وتفرحون أيضاً مثل تِكله، القوية بالروح، فإنها لم تَخَفْ من إهانة والديها لها، ولا من النار أيضاً ولا من المتولِّي عذابها، ولا من الوحوش الضارية؛ وأخيراً أعطاها الرب سرور القلب وجوائز أتعابها. فقوة إيمانها بالله أطفأت النيران وسدَّت أفواه الأسود الضواري، وأذلَّت جميع أعدائها. ومثل يوسف أيضاً، المتضع أمام الله والناس، فإنه لما حسده إخوته وأبغضوه وأرادوا أن يسفكوا دمه من كثرة الحسد لما رأوه مكرَّما عند أبيهم، حرَسَتْه العناية الإلهية من القتل. لكنهم تسلَّطوا بالغيرة ورفعوا أيديهم عليه، وأخيراً باعوه عبداً. ثم أن امرأة سيده الذى صار له خادماً سبَّبتْ له أتعاباً كثيرة حتى أنه طُرح في السجن. وقد كان عفيفاً وديعاً طاهراً جداً بغير دنس نفساً وجسداً. وهو بمعونة الرب له، لم يَخَفْ من تلك الضوائق جميعها بل صَبر وتوكل على الرب. وأخيراً رفعه الله وجعله رئيساً على مصر وجميع أعمالها. أما إخوته الذين حسدوه، فقد أذلَّهم الرب بأجمعهم تحت رجليه.

١٠ – فهؤلاء الذين ذكرتهم ومن جرى مجراهم، يا أحبائي، لم ينالوا الكرامة من الله في أول جهادهم وتجاربهم، بل بعد أن امتحنهم وسبكهم بالشدائد والأتعاب، وجعلهم يعرفون كيف يواجهون القتالات. حينئذ لما

رآهم قد صبروا في الشدائد والأتعاب، وجعلوا الرب رجاءهم، أعطاهم كرامة لاهوته، وأذلَّ مبغضيهم تحت أقدامهم.

وأنا، يا أحبائي، عندما أذكر جهاد هؤلاء وجوائزهم، تتهلل روحي بالفرح والسرور، وأطلب عنكم بابتهال. فاثبتوا أنتم بالصبر ولا تضعف قلوبكم في شدائدكم؛ بل اشكروا (الله) عليها لتنالوا المجازاة من الرب عنها.

١١ – وقد كتبتُ لكم هذه الكلمات، يا إخوتي، ولكل من يدعو باسم الرب، كيما تكون لجميعكم السلامة والحق ومحبة الله، ومحبتكم بعضكم لبعض، ولكى لا تكون بينكم مشاجرة أو نميمة أو أفكار سوء أو قلق أو مقاومة أو مضادَّة أو غيرة رديئة أو قلة طاعة أو كبرياء أو شتيمة للناس أو الهزء بهم أو فجور أو محبة مجد باطل أو بغضة أو شهوة ثياب حسنة للجسد، أو عداوة بعضكم لبعض. وها مسكنتي تتضرع إليكم أن لا تدَعُوا شيئاً من هذه الأعمال عندكم في ذواتكم ولا بينكم في موضع سكناكم. لأن المجمع الذى تكون فيه هذه الأعمال، يكون غضب الرب حالاً فيه.

١٢ – واعلموا، يا إخوتي، أن أعمارنا في هذا العالم قليلة جداً. فاحرصوا فيه واجتهدوا، لئلا يتفق انتقالكم منه وأنتم حاقدون بعضكم على بعض، فتُحسَبوا مع القاتلين، كالمكتوب: "إن كل من يبغض أخاه فهو قاتل نفس" (١يو٣:١٥). وهذه الأقوال والوصايا ليست هي للرهبان فقط، بل ولجميع المؤمنين الذين يشتركون معكم في بيعة السيد المسيح الجامعة الرسولية.

١٣ – والآن، يا إخوتي، فليغفر الواحد منكم لرفيقه كيما يغفر الرب لكم. لأن الإنجيل المقدس يحثُّ على ذلك بقوله: "اغفروا يُغفر لكم" (لو٦:٣٧). وأيُّ من ظُلِم منكم، فليقبل ذلك بفرح ويسلِّم الأمر إلى الرب، لأنه الحاكم العادل المجازي. ومَن حصل منه ظلم لرفيقه فليسرع ويضع ذاته (أي يتواضع) قدام الرب ويتضرع لرفيقه كيما يغفر الرب له. ولا تَدَعوا، يا أحبائي، الشمس تغرب على غضبكم، كما يعلمنا الكتاب (قارن أف٤:٢٦)، بل انزعوا من قلوبكم كل الأفكار الرديئة التي تهتمون بها أو تفكرون بها على بعضكم بعضاً، لكي تنحلَّ العداوة التي أصلها البغضة والحسد؛ لأن هذين الوجعين رديئان جداً ومرذولان عند الله والناس، ولا يجب أن يوجدا في أحد من المؤمنين أو خدام الله. فيا أحبائي، إن كانت هذه الأشياء قد وُجدَت بينكم فيما مضى، فمن الآن احترسوا أن لا توجد عندكم ولا تَدَعوها تتسلط عليكم.

١٤ – واعلموا أن أيام حياتنا يسيرة جداً، (ومع ذلك) فإنه يمكننا فيها الرجوع إلى الرب عن خطايانا، لئلا يدركنا انتقالنا من هنا إلى هناك ونحن في غفلتنا، ولا يمكننا حينئذ الرجوع إلى هاهنا. لأننا نرى أن المنتقلين لا يرجعون إلينا؛ ونحن أيضاً لا ننتظر رجوعهم، بل ننتظر اللحاق بهم. وهذا هو المحتوم على جميع أهل العالم من الابتداء إلى النهاية.

ولهذا، يا أحبائي، يجب علينا أن لا يفتخر أحد بكثرة جهله ويقول: إنني قد قويتُ على رفيقي ولا أُشفق عليه. فليعلم قائل هذا القول أو المفكِّر

فيه أنه إنما قد جَعل للموت قوة على نفسه فقط، فيكون ميراثه (في) موضع البكاء وصرير الأسنان والدود الذى لا ينام والنار التي لا تُطفأ.

١٥ – وإذ قد علمنا هذا، يا أحبائي، فلنجاهد ما دمنا في هذا الجسد ونداوِ جراحات نفوسنا، قبل فراغ الزمان منا. ولتكن هذه الأقوال ثابتة في عقولنا لنعمل بها قبل مفارقة نفوسنا لأجسادنا. لأن ربنا، الحاكم العادل، يرسل خدامه ويقبضون على النفس ويفصلونها من هذا البيت الطيني. فكل الذين يوجدون في ذلك الوقت غافلين عن خلاصهم، فإنهم يُحفَظون في الظلمة القصوى إلى ذلك اليوم المرهوب وتخرج عليهم القضية المرَّة. ويُسلَّمون إلى المعذِّبين قليلي الرحمة والسجَّانين الذين ليس عندهم رأفة، المرتَّبين على حراسة تلك النار الممتلئة من الدود الذى لا ينام (قارن مر٩:٤٨،٤٦)، وعلى الظلمة الخارجية (قارن مت٢٥:٣٠) والخزائن المملوءة من البرد والزمهرير. والذين يُسلَّمون لهؤلاء القساة يطرحونهم في هذه المواضع البعيدة من الله لكى ينتقموا منهم.

عند ذلك يعجُّون بالبكاء والصراخ والعويل والولولة؛ فلا يسمعون لهم ولا يرحمونهم. لأن الرحمة قد بعدت عنهم إلى الأبد، لأنهم كانوا قليلي الرحمة في حياتهم، فلم يُطعِموا جوعاناً، ولا سقوا عطشاناً، ولا آووا غريباً؛ عرياناً لم يكسوا، ومريضاً لم يعودوا، ومحبوساً لم يزوروا (قارن مت٢٥:٤٢-٤٣)؛ ولهذا صارت لهم مجازاة بلا رحمة. وكانوا مع ذلك مملوئين من الخطأ والغش وعدم الطاعة للمعلمين والآباء المؤدِّبين؛ ولم يتربوا ولا يوماً واحداً، ولم يتخذوا لهم

معلماً يطلب من أجلهم. ولم يشكروا على ما أُعطوا من كثرة الغِنَى، وتركوا عنهم معرفة الرب هنا، وهو أيضاً لن يعرفهم هناك بل سيسلمهم لأولئك قليلي الرحمة لينتقموا منهم في مواضع العذاب الذى لا انقضاء له؛ كمثل العبد الذى لم يرحم رفيقه في العبودية ولم يترك له المائة دينار القليلة بالقياس للربوات التي تُركت له (قارن مت١٨: ٢٣-٣٤)؛ وكمثل العبد العاجز الكسلان الذى دفن فضة سيده (قارن مت٢٥: ١٨)؛ وكمثل الذى لم يوجد عليه لباس العرس (قارن مت٢٢: ١٢-١٣)؛ وكمثل العبد الذى يرفض وصية سيده، ويأكل ويشرب مع السكِّيرين ولا يشفق على أصحابه العبيد (قارن مت٢٤: ٤٩). فهؤلاء جميعهم إنما يسلَّمون للعذاب وللقوم قليلي الرحمة، لأنهم كانوا هم أنفسهم بغير رحمة، كما هو مكتوب: "إن دينونة من لم يستعمل الرحمة تكون بغير رحمة" (يع٢: ١٣).

١٦ – فيا أحبائي – لكثرة إشفاقي عليكم – أكرر التضرع إليكم، أنا المسكين، أن نستفيق ما دمنا في هذا الجسد، ونبكى على ذواتنا ونتنهد من كل قلوبنا، الليل والنهار، لننجو من العذاب المرِّ والبكاء والتنهد والكآبة التي لا زوال لها. فلا نضطجع ولا نسير في الباب الواسع والطريق الرحبة التي تؤدى إلى الهلاك؛ والسالكون فيها كثيرون. بل بالأحرى ندخل من الباب الضيق والطريق الكربة المحزنة المؤدية إلى الحياة؛ والداخلون فيها قليلون. والذين يدخلونها هم الفعلة المحقُّون الآخذون جوائز أتعابهم بفرح، الوارثون الملكوت.

١٧ – فالذي استعد، يا أحبائي، لا يكسل عن الحصاد، لئلا ينتهى

الموسم فلا يوجد مَن يبيع لمن يريد أن يبتاع. لأن هكذا قد أصاب العذارى الخمس الجاهلات لما لم يجدن من يشترين منه. عند ذلك صرخْنَ وبكينَ قائلات: "يا رب، افتح لنا" . فأجاب وقال لهن: "الحق أقول لكنَّ، إني لا أعرفكنّ" (مت٢٥:١١-١٢). وما أصابهنَّ هذا إلا لكسلهنّ. لأن رب البيت إذا قام وأغلق الباب فلا يعود شيء ينفع، كما كُتب.

وأنا أعطيكم مثالاً لذلك؛ لما دخل النوح السفينة، هو وبنوه ونساء بنيه وسائر مَن معه، أغلق الرب باب السفينة، بسبب ما أتى به من ماء الطوفان على صانعي الشرور. ولم يفتح نوح باب السفينة، ولم يدَع أولاده ينظرون إلى ذلك المنظر الرهيب الذى كان دينونة لأولئك الأشرار. ولا أيضاً جاء أولئك الأشرار بعد غلق الباب ليركبوا مع الأبرار. فصاروا من الجداء التي هي عن اليسار، حيث لا يمكنهم الدنو من الذين هم عن اليمين. وهكذا هلكوا هلاكاً بماء الطوفان، لأجل كسلهم وعدم طاعتهم. لأن نوح، في تلك المائة سنة التي بنى فيها السفينة، كان ينذرهم، فلم يطيعوه ولم يسمعوا منه، فهلكوا.

فالآن، يا أولادي المحبوبين، المهتمين بالسلام مع كل أحد، أطلب إليكم بنعمة الله أن تسمعوا منى، وحينئذ أنا أيضاً أسمع منكم. ولنسمعْ جميعنا من الرب القائل على لسان النبي: "مَن هو الرجل الذى يهوى الحياة ويحب أن يرى أياماً صالحة ؟ أُكْفُفْ لسانك عن الشر واصنع الخير؛ اطلب السلامة واتبعها !" (مز٣٣:١٣-١٥)؛ وبقية الكلام.

١٨ – هذا هو سروري، أنا والإخوة الذين عندي، أن نسمع

بمسيحيتكم، وأن تكون سلامة الرب عندكم وبينكم. وأنتم تبنون عليها، في كل يوم وليلة، لتصيروا روحاً واحداً بمشيئة واحدة، وإيمان واحد، وشركة واحدة، ومائدة واحدة، لتدوم لكم السلامة.

ومنذ وصلَتْ إليَّ رسالتكم وإلى الآن، أنا حزين القلب بسبب ما حدث بينكم من التعب بسبب قلَّة الإفراز ممن يريد أن ينفرد بذاته وحده ويصنع إرادته وهو في الوسط (أي وسط الجماعة). فمن الآن، يا أحبائي، لا يكون هذا بينكم، بل كمِّلوا (أي اشترِكوا في) خبز بيت السلامة بالاتفاق. لأنه غير واجب أن يُعطَى خبزه لموضع آخر؛ بل اجتمعوا معاً بروح واحد وكمِّلوه بالسلامة والاتفاق والتواضع وخوف الله والطلبات. وحينئذ يُكمل خبز بيت السلامة وتنالونه بفرح وسرور. وبعد ذلك تعطون للضعفاء والمساكين لكى تستحقوا الفرح الثاني المختار ؛ الذى هو الإيمان والرجاء والمحبة والتواضع والمخافة والإفراز والنسك والسلام والهذيذ ومحبة الإخوة. لأن كل من كانت هذه عنده، فهو لابس لباس العرس (قارن مت٢٢: ١٢) وسائر في أوامر الروح.

١٩ – وحقاً أقول لكم، يا أحبائي، إني إلى الآن لم يُعطِني الرب أن أصنع هذا الأمر، الذى هو انفصالي عن الإخوة؛ وأخاف أن أصنعه من ذاتي وحدى من غير إرادة الرب. وأطلب إليكم أن تثبتوا في مواضعكم وصبركم لتعبر عنكم الأوجاع. لأن هذا ليس هو وقت طلبتكم لهذا الأمر. وأَيُّ مَن تقدَّم وبلغ أن يكون له هذا، فأنا أعلم أن ربنا يعرِّفني به ويُتمُّ فيه مشيئته

الصالحة. فإذا ثبتُّم على هذا، فإن السلامة تكون لكم ولمواضعكم، ولكل من يأتي إليها، ولكل من يصلِّي فيها باسم الرب.

٢٠ – وهذا اعلموه يقيناً، أن كل من يسعى كمشيئة الله، التي لا تختلط بها مشيئة الإنسان، فإن قوة الله – التي هي أحلى من الشهد ومملوءة من كل سرور، تعضِّده وتقويه وتعطى لنفسه (أي تغمره) أعمالاً عجيبة وتهيئ أمامه كل المسالك المحبوبة للرب. حينئذ لا يقدر أحد من الأعداء أن يضادَّه، لكونهم يرونه سائراً في إرادة الرب.

أما من يسعى بهواه، وهو يظن أنه هوى الرب، فإن الله لا يعضده في شيء؛ بل يتركه للشياطين لتسكن في قلبه الليل والنهار ولا يتركونه يجد شيئاً من الراحة؛ لأن قلبه يصير مظلماً لا يرى شيئاً من النور البتَّة، ويجعلونه بغير قوة في كل أموره الظاهرة والباطنة، بسبب انعدام النعمة. ويجلبون عليه أشياء أخرى كثيرة صعبة ومتعبة، لا أستطيع أن أنطق بها. وكثيرون ضلُّوا بسبب ذلك لقلة فهمهم وتمييزهم، وصاروا يهزأون بالمؤمنين السائرين حسناً في الوسط (أي في المجمع).

٢١ – وهكذا جرى لأبينا الأول بسبب قلة تمييزه واستماعه لحواء. لأن حواء طغت بقلة تمييزها، وطمعت في عدم الموت والتألُّه، عندما أخفى الشيطان شكله في الحية وتكلم معها، كمن هو محب لها قائلا: "إنكما إذا أكلتما من هذه الشجرة تصيران آلهة ولن تموتا" (تك٣:٤–٥). وهى بقلة إفرازها وعدم تمييزها، لما سمعت باللاهوتية وعدم الموت، لم تمتحن ما قيل لها

لتعرف أنه من الشيطان، بل تركت عنها إرادة الرب وخالفت وصيته. وهكذا طَغتْ وأَطغتْ آدم، وحصلا كلاهما – بعد الرفعة السامية – في هذا الذلِّ المتفاقم، لكونهما خالفا إرادة الرب.

هكذا، يا أحبائي، بالحقيقة يصيب كل مَن يترك عنه إرادة الرب ويصنع إرادة قلبه.

٢٢ – وهكذا يتم عليه قول سليمان الحكيم في الأمثال أنه: "يُظنُّ بطريق أنها مستقيمة، بينما آخرتها تؤدى إلى أسفل الجحيم" (أم١٤: ١٢). وأعرفكم أيضاً أن الشيطان يعطى لمثل هؤلاء فرحاً وسروراً، وهو ليس كذلك بالحقيقة؛ بل عبوسة وكآبة وبكاء، لأنه ليس من الله. لأن الفرح الذى من الله والسرور إنما يُعطيان لمن يتعب بكل قوته ويغصب ذاته ويقهرها على الثبوت في الأعمال الصالحة، ويقطع إرادته ويتمسك بإرادة الرب.

٢٣ – وإذ قد تكلمتُ عن إرادة الله وإرادة البشر، أريد أن أعرفكم شيئاً آخر، وهو أن المشيئة التي تعمل في قلب الإنسان هي على ثلاثة أنواع. وكثيرون من الرهبان والعذارى لا يتأملون ذلك؛ بل القليل منهم جداً، الذين تعبوا في الجهادات العظيمة وكملوا بالإفراز، هم الذين يراعون ذلك؛ لأنه مكتوب أن: "الطعام القوى هو للأقوياء" (عب٥: ١٤). فالنوع الأول (من أنواع المشيئة) هو من الشيطان، والثاني من الإنسان والأخير هو من الرب. فالاثنان اللذان من الشيطان والإنسان، لا يسر الله بهما؛ بل يسر بالذي له فقط.

٢٤ – والآن، يا إخوتي الأحباء المحبوبين لقلبي، افحصوا ذواتكم وتمسكوا بمشيئة الله. واسمعوا لأبيكم، فإني أطلب كثيراً إلى الله عنكم. لا تتركوا بيتكم (أي ديركم) بحجة الخير، الذى ليس هو بخير، وتنتقلوا إلى غيره. بل اثبتوا إلى أن أصل إليكم بمعونة الرب وأعرّفكم بما ينفعكم. لأنكم إن فعلتم ذلك الأمر، تُحزِنون قلبى وتَحزَنون أنتم أيضاً. وأنا المسكين، يا أحبائي، أظن أن في معرفة إرادة الله أكثر منكم، وأعرف ما هو لتقويمكم.

فاثبتوا إذاً في محبة الإخوة وفى المجد الذى لكم، وتأملوا إرادة الرب. وهذا ليس بالأمر الحقير أن يتأمل (أي يراعى) الإنسان دائماً إرادة الله في كل شيء. وحقاً أقول لكم إنه إن لم يترك الإنسان كل مشيئات قلبه، ويتضع في كل شيء، ويطرح عنه جميع غناه ومقتنياته، ويسمع للرب بسماعه (أي بطاعته) لآبائه الروحانيين، فهو لا يستطيع أن يتأمل إرادة الله ولا يصنعها، ويُعدَم البركة الأخيرة.

٢٥ – فإبراهيم لما بارك إسحق، قال له: "إلهى يقويك لكى تصنع إرادته". وهكذا كل من يطيع آباءه الروحانيين في كل شيء، فإنه يصنع إرادة الله. وكذلك أبونا الصالح يعقوب الذى بُورك من أبيه إسحق لكثرة طاعته لأبويه، سكنته القوات (أي الفضائل) لأنه كان يسمع لهما ويصنع إرادتهما. فقد ذُكر عنه في التوراة أنه قبل وفاة أبيه، وبعد نوال البركة منه، قالت له أمه أن يمضى إلى ما بين النهرين ويبقى عند خاله لابان، لأن أخاه عيسو كان يريد قتله. ولم يكن يعقوب يشتهى أن يمضى إلى هناك ويترك بيت أبيه، لأنه

كان يحبهم وهم أيضاً كانوا يحبونه، لكنه سمع وأطاع ومضى إلى ذلك الموضع البعيد وإلى الأرض التي لم يكن يعرفها. ولم يخالف إرادة والدته، بل ترك شهوته وإرادته ليطيِّب قلبها، واجتهد هذا الاجتهاد جميعه حتى كملت عليه بركة أبويه. لأنه مكتوب أن: "بركة الآباء تثبِّت بيوت الأبناء" (ابن سيراخ٣:٩).

٢٦ – وقد بلغني أن بعضكم يقولون إن يعقوب لم يهرب من أخيه عيسو، وبعضكم يقول إنه هرب منه؛ وهذان القولان يصدقان عليه: لأنه لم يهرب بمشيئته بل هرب بطاعته. ولأجل ذلك عضده الرب في كل شيء خفياً وظاهراً.

فالآن، يا أحبائي، ليكن تذكار يعقوب ومَن سلك مسلكه، عندكم وفي ذواتكم بلا انقطاع.

٢٧ – وأزيلوا من خواطركم ما سمعته عنكم، إذ تقولون إن الله ينسى أتعابكم ولا يجازيكم (أي يكافئكم) عنها. حاشا؛ لأن ربنا له المجد لم يقل إن المجازاة تكون ههنا، بل التجارب والضيقات والأتعاب والأحزان؛ وهناك تكون المجازاة. لأن هذه الحياة هي طريق الأتعاب والتجارب. فإذا صبرتم وسمعتم وأطعتم آباءكم، فإن الرب يحسن مجازاتكم. لأن هذا هو التعب الذى يُذكَر أمام الرب.

٢٨ – وأنا المسكين أبوكم أعرفكم، يا أحبائي، أنني قد تعبتُ في الجبال والبراري وطلبتُ في الليل والنهار أن يكشف لي الرب إرادته، فلم

يُظهِر لي شيئاً؛ حتى سمعتُ لآبائي في كل شيء وقبلتُ معرفتها (أي معرفة إرادة الله) منهم. لأن كل مَن يسمع مِن آبائه فللرب يسمع؛ ومَن يسمع مِن الرب فهو يسمع لآبائه. ومَن لا يسمع لآبائه فهو لا يسمع من الرب. فيا أحبائي بالرب، اسمعوا لأبيكم في ما كتَبتُه إليكم، لكى تحل عليكم بركته، وتجدوا راحة ونعمة وقوة ومجداً ويسهِّل الرب جميع طرقكم.

وهذا قد أعلمتُكم، في هذه الرسالة، بطريقة العمل الجسداني والعمل الروحاني، والمقاومات الجسدانية والشيطانية، لكى تعملوا وتجتهدوا وتنالوا البركة الأخيرة، وتسكن فيكم نعمة عظيمة. والسلام لجميعكم، والخلاص من الرب يسوع المسيح يكون لأرواحكم المتواضعة، ولأفكاركم وقلوبكم المتطهرة. ولتحل بركته بكل موضع يكون فيه الاتضاع. له السبح والمجد والإكرام من جميع الناطقين، ولأبيه ولروحه القدوس، من الآن وإلى أبد الآبدين آمين.

تعاليم روحانية ووصايا مقدسة

للقديس العظيم أب جميع الرهبان،
وأول من سكن البرّية، الطوباني أنبا
أنطونيوس، بركاته تحفظنا جميعاً؛ آمين.

من أجل الفضيلة الحسنة والهدوء والتحفُّظ
والاستماع والطاعة في كل شيء، وفيما يختص بالرهبنة.

١ – يا ابني، قبل كل شيء لا تحسب نفسك شيئاً، فهذا هو والد الاتضاع. والاتضاع يلد التعليم، والتعليم يلد الإيمان، والإيمان يلد الرجاء، والرجاء يلد المحبة، والمحبة تلد الطاعة والطاعة تلد الثبات بلا تزعزع.

٢ – يا ابني، تعرَّ من الشر والبِسْ الوداعة. اطرح عنك العين الخبيثة واتخذ لك عيناً بسيطة. لا تتشبه بمن هو أضعف منك، بل بمن هو مختار أكثر منك. لا تَخَفْ من شتائم الناس. لا تُرِدْ أن تُعرَفْ في شيء من أعمالك. أبْغِضْ كل شيء يكون فيه خُسراناً لنفسك. لا تتركْ مشيئة الله وتصنع إرادة الناس. لا تُنِمّ ولا تشتم أحداً. لا تحسد من يتقدم بالظلم، بل اجعل جميع الناس أعلى منك لكي ما يكون الله معك.

٣ – يا ابنى، لا ترجع إلى ورائك فيما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة. لا تَمَلّ من محبة الله. اصبر في كل ما تريد أن تصنعه، فإذا صبرتَ يعضدك الله في كل ما تريد أن تصنعه الآن وفيما يأتي. لا ترجع إلى ورائك في طريق وحدتك. أَبغِض الحديث الباطل في كل شيء لهذا العالم. اجعل لك اهتماماً عظيماً بالفضيلة وهو الذى يصيّرك غير غافل. فإذا عملتَ بهذا، يا ابنى، فإنك ترث ما لم تره عين ولم تسمع به أُذن ولم يخطر على قلب بشر. احتسب من هو دونك في الفضيلة أنه مختار ومساوٍ لك في الفضيلة، والذى هو مساويك في الفضيلة أنه مختار وأفضل منك في النمو.

٤ – يا ابنى، لا تضجر من الأفكار التي تأتى عليك في قلايتك، واعلم أن الرب لا ينسى شيئاً من أتعابك، وأن منها يكون لك النمو، ونعمة الله تعضدك.

٥ – يا ابنى، ليكن القوم الذين أحبوا الرب بكل قلوبهم ودأموا في العمل، صورة لك ومثالاً؛ ولا تَسْتحِ أن تطلب منهم (كلمة منفعة) لحياتك، لأنهم قد تكمَّلوا في الفضيلة. لا تتشبه بالذين يداومون نياح هذا العالم، لأنهم لا يتقدمون أبداً؛ بل تشبه بالذين عاشوا تائهين في الجبال والبراري من أجل الله، لكى تأتى إليك القوة من العلا ويطيب قلبك في كل شيء تصنعه بحسب مشيئة الله. لا ترجع إلى ورائك في شيء من هذه الوصايا الإلهية، والرب يسوع المسيح يعطيك نياحاً فتكمِّل كل ما ابتدأتَ به من الأعمال الصالحة بسلامة. لأن آباءنا الكاملين ومَن ماثلهم بهذه قد كملوا.

٦ – يا ابنى، لا تُكثِر الكلام فتُبعِد روح الله منك. ولا تتمسَّك بشيء من الشر، ولا تدِنْ أحداً.

٧ – يا ابنى، لا تمشِ مع المستكبرين، بل امشِ مع المتواضعين.

٨ – يا ابنى، لا تكن مرائياً ولا كذاباً.

٩ – يا ابنى، لا تتكلم بغضب؛ بل ليكن كلامك بحكمة ومعرفة، وكذلك سكوتك أيضاً. لأن آباءنا الحكماء كان كلامهم مملوءًا من الحكمة والتمييز، وكذلك سكوتهم.

١٠ – يا ابنى، لا تُزكِّ نفسك عند الناس، بل كن في ذاتك حكيماً وديعاً طويل الروح كثير الأناة مجتهداً محبًّا للبشر. احزن مع أخيك وكن له شريكاً صالحاً.

١١ – يا ابنى، كن متواضعاً جميع أيام حياتك. وتمسَّك بكل شيء حسن. ولا تسأل عن الأشياء الرديئة، بل اِجعل طريقك بعيداً عنها. وليكن كلامك بحلاوة بلا خسارة، لأن المجد والهوان هما من قِبَل الكلام. أَحْبِب الرحمة وتذرَّع بالإيمان.

١٢ – يا ابنى، لا تجعل قلبك رديئاً حتى يفكر في الشر، بل اجعله صالحاً؛ واطلب الصلاح واقتنِ غيرة في جميع الأعمال الحسنة. لا ترفع صوتك؛ وإذا مضيتَ إلى أحد فليكن خوف الله في قلبك، واحفظ فمك لترجع إلى موضعك بسلامة. لا تُكثِر الكلام عند من هو أكبر منك.

١٣ – يا ابنى، أَحْبِب آباءك الروحانيين الذين يهتمون بك من أجل الله، أكثر من محبتك لآبائك الجسدانيين.

١٤ – يا ابنى، إذا جلستَ في وسط الإخوة لا تُكثِر الكلام؛ وإذا سئلتَ منهم عن أمر فقُلْه باتضاع.

١٥ – يا ابنى، إذا شُتمْتَ فلا تُبغِض شاتمك؛ بل قُلْ: إني مستحق أن أُشتَم من جميع الإخوة. إذا أتى إليك أحد من الإخوة في أمر، فواضِعْ ذاتك في كل شيء، واسمع له من أجل الله، ولا تتكبَّر. وإذا رتَّبك أبوك لخدمة المرضى، فاخدم بكل قلبك لتقبل الأجر مضاعفاً من الله: لسماعك (أي لطاعتك) ولخدمتك. وإن وبَّخك أحد بسبب خطية، وأنت برئ منها، فتواضع لتنال الإكليل. لا تنُصِت لكلام الشر، بل كن محبًّا للناس فتحيا. لا تجازِ شراً بشرٍّ ولا الشتيمة بشتيمة، لأنه مكتوب: إذا أنت لم تنتصر لنفسك فأنا أنتصر لك، قال الرب.

١٦ – يا ابنى، لا تكن مستكبراً، ولا تفتخر ولا تصرخ بصوتك. ولا تتكلم بسرعة، لأنه مكتوب: مَن كَثُرَ كلامه لا يخلص من خطية (قارن يع٣:٢،١:١٩).

١٧ – يا ابنى، لا تُبغض أحداً من الناس، بل حِبُّهم جميعاً كنفسك، لأنه مكتوب : حِبّ قريبك كنفسك.

١٨ – يا ابنى، أُذكر من يكلمك بالتعليم الصالح واحفظ وصاياه فتحيا

ويطول عمرك في إرادة الرب، كما هو مكتوب في رسائل الرسول بولس: اِدرس في هذه الأشياء وتشاغل بها، لكى يكون تقدمك ظاهراً لكل أحد (قا ١تى٤: ١٣-١٥).

١٩ – يا ابنى، المسكنة هي القناعة؛ والغربة هي أن تجمع ذاتك من الكثيرين؛ والسياحة هي الثبات في القلاية.

٢٠ – يا ابنى، اجعل لك تعباً قليلاً بجسدك في قلايتك. وليكن قلبك متضعاً، وفمك ينطق دائماً بالحق.

٢١ – يا ابنى، حِبّ الشتيمة أكثر من الكرامة؛ وحِبّ التعب الجسداني أكثر من الراحة؛ وحِبّ خسارة الدنيويات أكثر من الربح. أيها الأمين المختار، ما دمتَ كائناً في الطاعة فاعرف ما يُقال لك وتمسَّك به واعمل بمقتضاه. وإذا اجتمعتَ بالأمناء أمثالك، اِختَر لك السماع، واعرف ما يقال، وذلك أفضل من الكلام. الرجل المحب للَّذَّات هو غير صالح في الأعمال. إذا كنتَ بغير خطية فتكلم باسم الرب؛ وعلِّم الذين يُفتَرى على اسم الرب بسببهم إنهم موتى من الرب، لكى يرجعوا عن أعمالهم وينالوا الكرامة من الرب.

٢٢ – يا ابنى، كرامة عظيمة هي أن تتمسَّك بالسكوت وتتشبه بسيدنا المسيح، لأن بيلاطس تعجَّب منه (قارن مر١٥: ٥).

٢٣ – يا ابنى، كل ما تريد أن تصنعه ولا يمكنك أن تعرِّف الله به، فلا

تفعله.

٢٤ – يا ابنى، لتكن نفسك كائنة مع الله في كل وقت، وجسدك على الأرض كائناً كالصورة والمثال.

٢٥ – يا ابنى، نفاق عظيم هو أن تُحزِن إنساناً وتترفَّع عليه.

٢٦ – يا ابنى، ليكن لسانك تابعاً لعقلك. لأن الكلام الذى ليس بعقل هو شوك وحسك.

٢٧ – يا ابنى، لا ينبغي لك أن تعلِّم أحداً شيئاً من قبل أن تعمل به أولاً. فكِّر في أعمال الله ولا تكسل، لأن صلاة الكسلان كلام باطل. اجتهد أن تبتعد من الناس عادمي الرأي. إذا صنعتَ أعمالاً فاضلة، فلا تفتخر وتقول إني صنعتُها. لأنك إن ظننتَ أنك صنعتَها فلستَ بحكيم. عار عليك أن تأمر غيرك بأوامر لم تصنعها في ذاتك؛ لأنك لا تنتفع بعمل غيرك. الرجل الحكيم يعرف طريق سلوكه فلا يبادر بالكلام، بل يتأمل ما يقول وما يصنع. أما الرجل القليل الأدب فلا يحفظ ما يقال له من الأسرار.

٢٨ – يا ابنى، لا تُظهِر كلمتك لمن لا يعرفها. اجعل سائر الناس أحباء، لكن لا تجعلهم كلهم مشيرين، بل اتخذ لك قبل كل شيء تجربة (أي اختبار). لا تجعل كل الناس أصدقاء؛ وإن صاروا لك أصدقاء فلا تأمن لهم كلهم، لأن العالم قد ثبت في المكر. لكن اجعل لك أخًّا واحداً يخاف الرب، والتصق أنت بالله فقط مثل ولد مع أبيه. لأن الناس بأجمعهم يسلكون

بالغش، ما خلا النذر اليسير منهم؛ والأرض قد امتلأت من الباطل والأتعاب والأحزان. فإن كنتَ، يا ابنى، تحب المعيشة في الهدوء فلا تختلط مع المهتمين بالباطل. وإن صرتَ في وسطٍ فيه اختلاط بكثيرين، فكن كمن هو ليس مختلطاً بهم إن كنتَ تحب أن تُرضى الله.

٢٩ – يا ابنى، تعبَّد للمسيح وهو يخلصك ويعتقك. والعمل الجيد الذى تشتهى أن تعمله لا تتكلم به فقط، بل كمِّله بالفعل. لا تحب اللَّذَّات، لأن كل من يحب اللَّذَّات لا يسمع له الرب. اذكر أن مناقصك قد كثرت جداً وشبابك قد عبر، وقد حضر الأوان الذى تفارق فيه (الجسد) وتعطى جواباً عن أعمالك. واعلم أن أخاً لن يفدى أخاه، وأباً لا يخلِّص ولده.

٣٠ – يا ابنى، اجعل قلايتك سجناً لك، لأنه قد فنى الظاهر منك والباطن، وقد قرب وقت انحلالك من هذه الحياة. ليكن لك تواضع في كل شيء: في إسكيمك ولباسك وجلوسك وقيامك ومشيك وموضع مرقدك، وقلايتك وأوانيها. وفى جميع سيرتك اتخذ زِيّ المسكنة. لا تفتخر في كلامك، ولا في تسبيحك وترتيلك واجتماعك بقريبك، ولا يكن كلامك بتصنُّع.

٣١ – يا ابنى، إن مُدحتَ من أجل أعمالك فلا تفرح وتتلذذ بذلك، بل اِخفِ أعمالك ولا تدَعْ أحداً يذكرها، واجتهد أن لا تُمجَّد من الناس.

٣٢ – يا ابنى، لا تُبكِّت أحداً بسرعة لأن هذه سقطة لك. بل اذكر خروجك من هذا الجسد في كل وقت، ولا تنسَ الدينونة الأبدية؛ فإنك إن

فعلت هكذا فلن تعود تخطئ. لأن آباءنا الروحانيين قالوا: إن الوحدة هي الدرس (أي الهذيذ) في ذكر الموت والهروب من كل أمور الجسد.

٣٣ – يا ابني، استعمل المأكولات الحقيرة. وإذا انتابك غضب، فاطرحه عنك بسرعة ليدوم فرحك إلى الانقضاء. أتضرَّع إلى الشباب والشيوخ ألا يتركوا الغضب يقوى عليهم.

٣٤ – يا ابني، الشجاعة هي الدوام على الحق ومضادَّة الأعداء. لأن عدم طاعتك لهم تجعلهم يذهبون عنك ولا يوجدون بعد.

٣٥ – يا ابني، الرجل الحكيم تظهر الحكمة على وجهه. فكن حكيماً، وسِدْ أفواه الذين يقولون عليك الشر بصمتك عنهم. ولا تستعجب ممن يقولون عليك الشر، فإن هذا من فعل الأعداء الخبثاء، لكي يجعلوا الإنسان لا يدرك المعرفة.

٣٦ – يا ابني، كن معتوقاً من البغضة، وحرِّر ذاتك من الشهوة والأفكار الرديئة. لأن يوحنا الرسول، الذى صار مسكناً للروح القدس، قد شبَّه كل اللَّذَّات البشرية العالمية بثلاثة أشياء بقوله المملوء حكمة: إن كل ما للعالم إنما شهوة الجسد وشهوة العين وفخر العالم. أما شهوة الجسد، فإشباع البطن بكثرة المآكل التي لا يتبعها غير النجاسة. وأما شهوة العين فهي أعمال الإنسان الهيولية التي تتباهى العين بإتمامها. وأما فخر العالم، فهو المجد العظيم الحاصل في العقول بالرتب الزائلة.

٣٧ – يا ابنى، ازرع البر لتحصد ثمار الحياة. واستضئ بنور المعرفة لتنال (أو لتدرك) أجيال الأبرار، لأن هذا هو وقت تحصيل معرفة الرب.

٣٨ – يا ابنى، لا يضلَّك فكر الافتخار، إذ يقول لك إنك تستطيع أن تقتنى لك هدوءًا في الوحدة قبل تمام جهادك في الطاعة. لأن هذا هو الجيد للإنسان؛ أن يحمل نير الرب منذ صباه، ويخدم ويطيع، ويميل خدَّه لمن يلطمه، ويفرح بالتعيير ويتلذَّذ بالقماءة (أي بالذل والمحقرة). إن ربنا يسوع المسيح لن يتخلَّ عنه أبداً. لأنه صالح ومعين للنفس الصابرة لأجله الطالبة إليه، فهو يقويها حتى تثبت في الهدوء. فهكذا، يا ابنى، اصنع لتقدر أن تجلس في الهدوء وحدك وتصمت بسكون.

٣٩ – يا ابنى، افرح في الشدائد الآتية عليك، لأن ثمرتها تابعة لها. لا تستلذّ بملذَّات العالم لئلا تموت موتاً رديئاً.

٤٠ – يا ابنى، أسرع وانتبه، لئلا تضلُّ وتكسل وتتوانى فتكون حقيراً في الدهر الآتي. لأنه مكتوب: الويل للمتوانين، فإن آخرتهم قد اقتربت وليس معين لهم ولا رجاء خلاص.

٤١ – يا ابنى، مُتْ كل يوم لكيما تحيا. لأن كل من يخاف الرب يحيا.

٤٢ – يا ابنى، لا تنسَ الأتعاب التي احتملتَها لأجل الفضيلة فتكسل وتتوانى وتضلُّ في الساعة الأخيرة، بل حِب الرب إلى المنتهى وأنت تنال الرحمة.

٤٣ – يا ابنى، لا تبتعد من الله لأجل الزائلات، بل اذكر ما قرَّرتَه في وقت قوة حرارتك. ولا تنسَ الختم الذى تطهرتَ به أولاً، أعنى إسكيمك، بل اذكر دموع التوبة وتلك الطلبات التي طُلِبَتْ عنك، واسرع وابتعد من الأفكار الخبيثة لئلا تضلُّ علانية.

٤٤ – يا ابنى، حَمّ سريرك كل ليلة، وبِلّ فراشك بدموعك، واتضع أمام المسيح لكى يمحو خطاياك ويجددك ويعينك في الأعمال الصالحة ويورثك ملكوته السرمدي.

هذا الذى له التسبيح والإكرام والتمجيد والتقديس والسجود مع أبيه الصالح وروحه القدوس، من الآن وكل أوان وإلى دهر الدهور؛ آمين.

كمل بمعونة الرب نسخ هذه الرسائل والتعاليم التي
للقديس العظيم أنا أنطونيوس. وذلك نقلا عن
المخطوطة (م٢٣) بدير القديس أنبا مقار، وهى
منقولة عن النسخة الأصلية القديمة التي نصَّ كاتبها أنه
نقلها من اللسان القبطي الصعيدي إلى اللسان العربي
في آخر سنة ٩٨٦ للشهداء الأبرار (الموافقة لسنة
١٢٧٠م) بدير القديس أنبا أنطونيوس بجبل العربة.

من قول لأبينا القديس أنطونيوس

عندما أتى إليه أولاد القديس باخوميوس يسألون عنه

كان أبونا القديس أنطونيوس قد مرض في الجبل البرَّاني. وكان أولاد أبينا باخوميوس قد جاءوا من ديرهم يطلبون الإسكندرية. فلما سمعوا أن القديس أنطونيوس مريض ، تركوا مركبهم راسياً على البرِّ وطلعوا ليجتمعوا به ويسألوا عنه ويتباركوا منه. وإن تلاميذ أنبا أنطونيوس عرَّفوه أن إخوة دوناسه[1] قد جاءوا لكى يسألوا عنك ويأخذوا بركتك لأنهم ماضون إلى بحرى إلى الإسكندرية. وعندما عرَّفوه أسماءهم، جعل قوماً من الإخوة الذين عنده يمسكون بيده، فأقاموه من أجل أن رقاده قد أبطأ بسبب طول الزمان الذى صنعه. فالإخوة المجتمعون حوله تعجَّبوا جداً؛ ولما أمسكوه وأخرجوه إلى برَّا وهو يمشى إلى عند الباب الذى لديره، قبَّلهم بقبلة روحانية مقدسة.

بعد ذلك أمسك أنبا تادرس بيده اليمنى، وأمسك أنبا زَكَّاوس بيده اليسرى ومشوا معه، والإخوة جميعاً يتبعونه إلى موضع مرقده. وبعدما صلُّوا وجلسوا، والإخوة المحيطون به نظروا وجهه ممتلئاً فرحاً وهو ينير مثل وجه ملاك

---

(١) أحد الأديرة الباخومية، ويقع حالياً في محافظة قنا.

الله.

حينئذ ابتدأ يتكلم معهم قائلاً: لا تتوجَّع قلوبكم، يا أولادي، من أجل رجل الله الصدِّيق المتزيِّن بكل الفضائل أبينا باخوميوس لأنه تنيَّح[٢]، لأنكم قد صرتم له جسداً واحداً وشركاء في الأعضاء، وقد امتلأتم من نعمة الروح القدس الذى لله التي تنير داخله. بالحقيقة إنني كنت أشتهى أن أنظره بالجسد، وبحقٍ إنني لم استحقُّه؛ ولا سيما لأن الأنفس التي جمعها إليه مقدسة لرب الصباؤوت. وأولئك سوف يُظهِرون الأمر أنهم مرتفعون أكثر منَّا إذ يمشون في طريق الرسل التي للمسيح التي هي الشركة المقدسة.

فقال أنبا تادرس لأبينا أنطونيوس: اغفر لنا يا أبانا القديس، لأنك أنت أكرم منَّا ، وأنت بقية أنبياء الله. وأنبا زَكَّاوس لم يحتمله بل أجابه بسذاجة قائلاً: بحقٍ إنك تُضلُّنا. إن كانت هي الطريق المرتفعة التي للرسل، أعنى الشركة التي مشى فيها أبونا (باخوميوس) فلماذا لم تكن أنت في الشركة وتُربِّي نفوساً كثيرة أنت أيضاً كما قلتَ حتى نعلم جميعنا أنك صديق للمسيح يسوع وكامل في الفضائل الحسنة التي للروح القدس ؟. والرب يعلم أن أبانا باخوم لم يَفتُر عن الكلام معنا في كل حين، يحثُّنا أن نغبطك ونغار من سيرتك.

فأجاب أنبا أنطونيوس وقال له: اسمع منى لكى أطيِّب قلبك أيها الصغير زَكَّاوس، من جهة ما استقصيتَ عنه منى لأنك مستحق أن أُطيِّب

(٢) تنيَّح أنبا باخوميوس في ١٤ بشنس ٦٢ ش (٣٤٦ م) عن ٦٠ عاماً ، بينما تنيَّح أنبا أنطونيوس في ٢٢ طوبه ٧٣ ش (٣٥٧ م) عن ١٠٥ عاماً.

قلبك – وقد دعاه صغيراً لأنه كان قصير القامة– وقال: إنه في الزمان الذى صرتُ فيه راهباً لم يكن على الأرض شركة لكى أصير أنا أيضاً في الشركة، بل كان كل واحد يسكن خارجاً عن بلده ويتوحَّد. من أجل هذا صرتُ أنا أيضاً في الوحدة. ثم ظهرتْ طريق الرسل على الأرض في هذا الزمان، وهو الأمر الذى بدأ به أبونا باخوم، فكان خلاصاً لكل مَن هو مضيَّق عليه من قبل الشيطان الشرير. والآن، لو أردتُ أن أجمع شركة فما أستطيع، لكوني لم آتِ من الأول بأمر كهذا لكى أصنعه مع كل واحد. كذلك إذا أنا أردتُ أن أمضى إلى إخوة آخرين مجتمعين في سيرة الشركة لكى أقيم عندهم وأخضع لهم كمثل واحد من الصغار، فإني لا أقدر؛ من أجل أنني قد تقدمتُ في الشيخوخة.

من أجل هذا اخترتُ أن أبقى وحدى هكذا في الذى أنا فيه الآن، ولا سيما أنني أخرج من الجبل، من وقت لآخر، لكى أفتقد الإخوة؛ وهذا هو تدبيري. وفى الحقيقة إنني كنتُ أتكلم مع كل واحد من الإخوة وأُثبِّته في كلام الرب، لكى يكون لي أجر من أجل هذا أمام الرب يسوع المسيح. وأقول لكم إن هذا الأمر هو في همَّتي (أي موضوع إهتمامي) لكى (بسبب) نفس واحدة تخلص من قِبَلي في الرب، يُخلِّص الرب نفسى.

لكنهم لم يكونوا يتركونني أصنع إرادتي، بل في الوقت الذى يسمعون أنني خرجتُ من الجبل البرَّاني، فإن كثيرين من المتخاصمين ومن المضيَّقين (أي المظلومين) يأتون مع بعضهم البعض ويجرون نحوى ويكلفونني أن أكتب

للسلاطين والرؤساء من أجل (ما أصابهم) من ظلم. وأنا عندما نظرتُ أن ليس في هذا الأمر ربح لمن هو في شكلنا، فإنني أقوم مسرعاً لكى أمضى إلى الجبل وأنفرد في الوحدة.

وعندما قال الطوباني أنبا أنطونيوس هذا من أجل الإخوة والسيرة المقدسة التي للشركة وكثرة فضائلها، وكان عنده جموع كثيرة في ذلك الوقت؛ كهنة وعظماء كانوا قد جاءوا إليه لكى يسألوه ويتباركوا منه، أنه علم فكرهم أنهم تقمقموا لأجل (ما ذكره من) مجد الإخوة الذين في الشركة، والإخوة الذين تحت الخضوع. فقال لهم مرَّة: بحقٍ غضبتم في قلوبكم لأنني أكرمتُ صبر الإخوة وعبادتهم لله ؟ فقالوا: ليس حَرَدُنا (أي غَضبُنا) باطلاً، بل حَرَدْنا في قلوبنا لأنه من زمان كثير منذ أن ضعفتَ، كل من يأتي إليك ويسأل عنك (سواء) أسقف أو كاهن أو جندي أو مقدِّم أو رئيس بصفة عامة، كنتَ لا تقف لتقبِّل أحداً منهم لسبب ثقل المرض عليك، بل إنهم ينبسطون عليك ويقبِّلون رأسك وفمك وصدرك بشكر. ولما جاء الإخوة الذين من دوناسه في تلك الساعة قمتَ وتركتَنا جلوساً ومشيتَ أمامهم بفرح عظيم وقبَّلتَهم بفرح وتهلَّل قلبُك من أجلهم.

فقال لهم الطوباني أنبا أنطونيوس: أنا أُطيِّب قلوبكم من أجل هذا الأمر، وأُعلِمكم بالحق بكل ما صار إلىَّ من الله. والرب يعلم أنني ليس من أجل الإخوة قمتُ وخرجتُ أمامهم وقبَّلتُهم كأنهم مكرَّمون عندي أكثر منكم؛ لا، الرب يعلم. بل إن ملاك الرب الذى سبق أن دخل إلىَّ قدامكم

قال لي: هوذا أولاد باخوم الذين من أهل دوناسه قد جاءوا إليك الآن، قم واخرج أمامهم. وفيما الملاك يكلمني جاء الإخوة بخبر مجيئهم إليَّ قائلين: هوذا الإخوة الذين هم في الشركة التي لأبينا باخوم جاءوا يسألون عنك ويتباركون منك. في تلك الساعة حلَّت عليَّ قوة الرب، فقمتُ وخرجتُ أمامهم وقبِلتُهم إليَّ بفرح؛ كما أمرني ملاك الرب هكذا صنعتُ. طوباهم (حقاً) إذا صنعوا وكمَّلوا كل الوصايا والقوانين والنواميس التي وضعها وثبَّتها رجل الله الصدِّيق باخوم.

فأجابه الإخوة الجلوس عنده وقالوا: إن كان هؤلاء الإخوة الذين لتلك الشركة مستحقين الكرامات والمجد الذى مجَّدتَهم به، فكيف نحن – إذا دعت الحاجة أن نجوز بديارهم – يُتعِبوننا عندما يتقصُّون منا قائلين: هل أنتم من أتباع ماني[٣] في أمانتكم (أي إيمانكم) التي تحفظونها ؟. فنتعب إذ نعترف لهم أننا من أصحاب أنطونيوس ولا يأمنون (أي لا يصدقون) قائلين: إن كثيرين يجيئون إلى ههنا ويشهدون أنهم من أصحابه ونقبلهم إلينا، كوصية الإنجيل؛ فإذا مضوا من عندنا وتقصَّينا عنهم نجدهم مانيين. وأيضاً نحن نتعب حين نقول لهم إننا من أصحابك، ولا يصدقوننا.

---

(٣) كان "ماني" أحد المبتدعين في القرن الثالث الميلادي، من أصل فارسي، من المذهب الغنوسطي الذى ظلَّ يناوئ الكنيسة في الخمسة قرون الأولى. لكن تلاميذه كوَّنوا بعثات تبشيرية نشِطة امتدَّت من الهند شرقاً حتى قرطاجنَّة غرباً، حتى أن ق. أغسطينوس كان من أتباعهم في شبابه. ويُعتَقد أن المخطوطات القبطية المكتَشفة قرب نجع حمادي عام١٩٤٦ كانت لإحدى مستوطناتهم التي لم تبعد عن شينوبسكِيُون – أشهر الأديرة الباخومية – سوى كيلومترات معدودة. وجاء هذا الاكتشاف تأكيداً لمخاوف الرهبان الباخوميين، كما تظهر فى سياق حديث ق. أنطونيوس.

فأجاب أنبا أنطونيوس وقال: يا ساذجون! يا من ليس عندهم تمييز الكتب، ويقبلون إليهم كل أحد بغير تجربة ! (أي بدون امتحان) هل تريدون من إخوة الشركة أن يكونوا بلا تجربة للذين لا يعرفونهم في الإيمان ؟. أما هم فإنهم متحفظون في كل شيء، لأنهم يذكرون الكلمة المكتوبة في الإنجيل المقدس، التي قالها لنا الرب: "تحذَّروا من الأنبياء الذين يأتون إليكم بثياب الحملان وداخلهم ذئاب خاطفة، ومن ثمارهم تعرفونهم" (مت٧:١٥)؛ وأيضاً: "جرّبوا كل شيء وتمسكوا بالجيد" (١تس٥:٢١). فثمة محبة تنظرون أنها جيدة، وآخرتها تبلغ إلى عمق الجحيم.

فالإخوة والكهنة طابت قلوبهم جميعاً من كلام التعليم الذى قاله لهم القديس أنطونيوس عن إخوة الشركة التي لأبينا باخوم. ومن بعد هذا قام وصلَّى عليهم، وخرجوا من عنه إلى مركبهم بسلامة. وأرسل معهم رسالة إلى أبينا أثناسيوس البطريرك، صلاته تكون معنا جميعاً آمين.

خاتمة

قال الإخوة:

إننا عندما جئنا إلى حيث يسكن القديس أنطونيوس، كان إيلاريون الطوباوى مع تلاميذ القديس. فأخذونا وطافوا بنا ذلك الموضع جميعه بهشاشة وبشاشة. وكان تلميذاه إسحق وسرابيون يروننا المكان ويقولون لنا: في هذا الموضع كان القديس يصلى، وفى هذا يتلو، وفى هذا يجلس صامتاً؛ وههنا كان يجلس يعمل الزنابيل، وفى هذا الموضع كان يريح جسده من التعب، وهنا كان يرقد؛ وهذه الكرمة وهذه الغروس هو غرسها؛ وهذه المسكبة عملها بيده؛ وهو بنى هذا الحوض بتعبٍ وكدٍّ ليسقي الغروس؛ وهذه المحفرة كانت له زماناً طويلاً يحفر بها.

ولما طافوا بنا جميع هذه المواضع، قالوا لنا: جاء الشيخ وسكن في هذا الموضع، وكان الموضع مربعاً يسع إنساناً واحداً نائماً. وفى رأس الجبل كانت هناك قلالي منحوتة من صخره؛ سعة كل قلاية بهذا المقدار، وهى بباب مفرد، يصعدون إليها بتعب لصعوبة الجبل وارتفاعه. وكان القديس يفرُّ هناك إذا أراد الهدوء وأن لا يزعجه مُزعج.

ولما دخلنا البستان، أرونا أشجار فاكهة كثيرة، وقالوا لنا أن الطوباني

١٥٢

خاتمة

نصبها منذ ثلاث سنوات.